الألوهية فى البراجماتية

عرض ومناقشة

للدكتورة

منى محمد سليم

أستاذ العقيدة المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الأحد، الفرد الصمد الذى لم يتخذ الصاحبة ولا الشريك ولا الند ولا الولد، فسبحانه خلق كل شىء فقدره تقديراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله عرف الخلائق به وفطرهم على توحيده وأمرهم بعبادته وبين أن من أطاعه نجا ومن عصاه هلك. وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله، ختم الله به النبوات وجعل رسالته مهيمنة على جميع الرسالات قال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** ﴾ (١).

اللهم صلى وسلم وبارك عليه، وعلى أهله الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين وأتباعه العلماء العاملين، وارضى الله عن حملة العلم والدين إنك يا مولانا أرحم الراحمين.

أما بعد.. ..

فإن الله تعالى فطر فى الناس دلائل وجوده كما عرفهم بوحدانيته، وكمال صفاته وجاء كل رسول يدعو إلى هذه الحقيقة الأزلية وهى الإيمان بوجود الله وأنه واحد فى ذاته وصفاته، وأفعاله لا يسأل عما يفعل غير أن بعض ممن ركب شياطينهم عقولهم سمحوا لأنفسهم بمحاربة الفطرة وإقامة الفتنة فتنطقوا يخالفون تعاليم الله وينكرون ما جاء من عنده جل علاه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ**

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٤٠.

الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١).

ثم يكاثر هؤلاء الخارجون الذين استعبدتهم شياطينهم فراحوا يكذبون بوجود الله تعالى وينكرون آياته فى خلقه كما ينكرون النبوات والمرسلين ومن هنا تعددت فرقهم وكثرت أشياعهم وبات الحديث عنهم من الضرورات الشرعية حتى يحظر الإنسان الواعى الوقوع فيما وقعوا فيه أو الاستفادة بما نضحت به أوانيهم.

ومن المؤكد أن البراجماتية أحد هذه الحركات الفكرية التى قامت على الأديان البرية وبات الحديث عن هذه الجماعات متجدداً أمره باعث على الحركة.

ومن ثم رأيتنى أقدم دراسة عن البراجماتية.

غير أنى لاحظت أن أفرادها يتحدثون على فكرة الإلهية لا عن كونها عقيدة دينية [ومن المعلوم أن العقيدة الدينية لا تقبل الثواب أو الخطأ أنها نداء الفطرة الربانى.

وتقوم على ما جاء من عند الله فى كتابه، وسنة رسوله ﷺ].

بل كفكرة معرفية يمكن أن يقع عليها الثواب والخطأ القبول أو الرفض الصحة أو الفساد، بل تمادى أكثرهم فأنكر وجود الله بالكلية ومن هنا كان اختيارى لتناول موضوع هذه الدراسة وهو:

« **الألوهية فى البراجماتية عرض ومناقشة**» ولا يخفى أن هذا الموضوع احتاج منهجاً بحثيا قام عندى على السرد التاريخى للأفكار وهو ما يعرف بالمنهج التاريخى أو الاسترادى.

ثم تحليل تلك الأفكار والوقوف بالمقدمات حتى أصل إلى النتائج من خلال عملية ربط وتأليف تجمع بينهما وتدفع إليهما فى ذات الوقت، رأيت أن المنهج التحليلى الذى يعتمد على مناقشة الآراء المطروحة بعد بيان ما يتعلق بكل جزئيه على حده، ثم استعملت منهج النقد والموازنة بغرض الوصول إلى نتائج صريحة واعتقد أن ذلك يصلح فى مثل هذا النوع من الدراسات.

(١) سورة فصلت الآية رقم ٤٠.

ويتكون هذا البحث من:

مقدمة وثلاثة فصول:

الفصل الأول: التعريف بها وأبرز رجالاتها.

الفصل الثانى: موقفهم من الدين.

الفصل الثالث: موقفهم من ذات الله وصفاته.

الخاتمة: وأهم النتائج.

والله أسأل التوفيق والسداد إنه نعم المولى ونعم المعين

الباحثة

د./ منى محمد سليم

الألوهية فى البراجماتية عرض ومناقشة

الفصل الأول

التعريف بها وأبرز رجالاتها

تمهيد: بدأت الحركة العقلية فى أوربا مرحلة نشطة، وبخاصة فى نهاية العصور الوسطى بغية أن تلحق من ركب الحضارات ما أفلت، وتحقق من الأهداف ما تصبو، وبخاصة أن هذه البدايات قام بها جمع من المفكرين الذين أمكنهم الإفلات من قبضة السلطان الكهنوتى واستطاعوا التحرر من محاكم التفتيش التى جسمت على صدورهم سنوات طوال امتدت إلى قرون عديدة ضاعت فيها الكثير من المواهب وافتقدت الأكثر من القدرة على النظر العقلى والتأمل المعرفى وكان ذلك كله من آثار سيطرة الكنيسة على القدرات العقلية(١).

وكانت تلك الحركة تبدو بطيئة فلما أمكن لها مقابلة الثقافة الإسلامية فى حواضر العالم الإسلامى قارنوا بين آثار هذه ونتائج تلك فوجدوا الفرق بين الأمرين كبيراً (٢).

أجل استطاعت هذه الحركة الغربية أن تحدث العديد من التغيرات حتى جاءت الثورة الصناعية وبات أمر التقدم العلمى حتمياً نظراً لمساهمته فى البناء الحضارى وقد فطن إلى هذا الدور القادة السياسيون بدليل ان ملك بروسيا الشاب اتخذ قراراً بإرسال البعثات التعليمية إلى بلاد المشرق وبخاصة الحواضر التى امتلأت بالعلماء كبغداد، ومراكش، بجانب إشبيلية وقرطبة، وكان يختار لهذه الإرساليات الشباب من ذوى الحس الوطنى، القدرات العقلية المتميزة(٣).

كان من نتيجة ذلك ظهور تيارات فكرية متعددة الاتجاهات كلها تهدف إلى البحث عن كيفية الانتقال بأوربا من التخلف والجهل إلى التقدم المعرفى

(١) راجع للدكتور/ رمسيس عوض، محاكم التفتيش نشأتها وتنظيماتها ص١٤، ١٥، ط – دار الهلال ٢٠٠١م.

(٢) اعتمدت الحركة العقلية الأوربية على ما وصلها من التراث الإسلامى الذى أحدث انقلاب داخل أنظمتهم المعرفية وأمتد إلى السياسة. راجع الساحة ربروروث – تراث الإسلام ج٢ ص٢٣٤، ترجمة، د/ حسين مؤنس، طبعة سلسلة عالم المعارف، العدد ١٢.

(٣) راجع: د/ رفقى زاخر، الفلسفة الحديثة ص١٨١ – ط أولى – ١٩٧٥م.

العلمى حتى وإن أدى ذلك إلى القفز فوق المعتقدات الدينية والقيم الأخلاقية وبات شعارهم العملى الغاية تبرر الوسيلة [١].

من خلال تلك الموجات الفكرية المتقابلة أحياناً والمتضادة أحياناً أخرى، ظهر مجموعة من الشباب اعتنقوا فكرة العمل الجاد المفيد وأطلقوا على أنفسهم أصحاب المذهب البراجماتى.

يقصدون بذلك المذهب العلمى فى أسسه الغائى فى وسيلته النفعى فى نتيجته[٢].

ولما كان هذا المذهب العلمى قد نظر إلى التجربة الذاتية فقد قفز إلى المعتقدات الدينية ومن ثم وقعوا أصحابه فى العديد من المشكلات التى كان أساسها عدم الفصل بين عالم الغيب وعالم الشهادة أو ما يمكن أن يقع بحثه وما لا يمكن أن يتم ومن ثم كان تناولهم للألوهية على أنها قضية معرفية وليست عقيدة دينية [٣]، وهو ما دفعنى إلى تناول تلك المسألة.

أما ما يتعلق بالفكرة فإن الأمر يختلف على أساس أن فكرة الألوهية تكون من بنات العقل وشطح الخيال وبناء عليه تقبل الزيادة والنقصان، والحكم عليها

(١) هذا المبدأ الغائى يمكن الأخذ به إذا كانت الغاية مشروعة، والوسيلة غير مدمرة؛ لأن الشريعة ما جاءت إلا لمصالح العباد وحيث كانت المصلحة فثم شرع الله. راجع للشيخ/ إبراهيم الشاطبى – الموافقات فى أصول الشريعة جـ٢ ص٧، تحقيق د/ محمد عبد الله دراز، طبع مكتبة الأسرة – القاهرة.

(٢) راجع: وليم جيمس، البراجماتية، ص٧١، ترجمة د/ محمد على العريان، مؤسسة فرنكلين سلسلة كتب لابد تقرأ ١٩٦٥م.

(٣) العقيدة الإيمانية ستة هى:
أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وهى قلبية عقلية، لا تقبل الزيادة عليها ولا النقصان منها؛ لأنها تتعلق بالله ومصدرها هو الله.

بالصدق أو الكذب، الثواب أو الخطأ، ولا شك أن الفرق بينها وبين العقيدة الإلهية كبير جداً [١].

ومن ثم سأحاول تقديم لمحة مركزة عن أبرز التعاريف بالبراجماتية وأشهر رجالها على النحو التالى:

أولاً: التعريف بها[٢]:

المعلوم لدى الباحثين من المناطقة وغيرهم أن التعريف هو الذى يوضح المعرف من جوانبه المختلفة [٣].

ويذهب العلامة الجرجانى إلى أن التعريف: [عبارة عن ذكر شىء تستلزم معرفته معرفة شيئاً آخر] [٤].

ومن ثم فإن ما يتعلق بالبراجماتية من هذا الجانب انتهى إلى:

---

(١) تناول الدكتور/ محمد غلاب قضية الألوهية كعقيدة ومسألة معرفية وعرض الأمر على الحس ويمكن الرجوع إلى كتابه القيم "مشكلة الألوهية" ص٧، وما بعدها، ففى ذلك أمر مهم لمن يريد الاستفادة من ذلك الجانب.

(٢) نشطت البراجماتية فى الفكر الأمريكى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، خلال الربع الأول من القرن العشرين، وأصبحت سمة للحياة والثقافة الأمريكية، وقد فهم النقاد منها أنها حركة نقدية موجهة ضد الفلسفات الموروثة من أجل إرساء دعائم فكر أكثر إيجابية، وبهذا أصبحت البراجماتية هى الإسهام الأمريكى فى الفلسفة العالمية.د/ إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة جـ١ ص٦٩، ١٩٩٩م – دار الوفاء.

(٣) على ناحية الحد تاماً أو ناقصاً، وعلى ناحية الرسم تاماً أو ناقصاً باعتبار أن ذلك مما يميز المعرف عما سواه.

قال العلامة الأخضرى:

معرفاً على ثلاثة قسم ∴ حد ورسمى ولفظى علم
فالحد بالجنس وفصل وقعا ∴ والرسم بالجنس وخاصة معاً
وناقص الحد بفصل أو معا ∴ جنس بعيد لا قريب وقعا
وناقص الرسم بخاصة فقط ∴ أو مع جنس ابعد قد ارتبط

العلامة شيخ عبد الرحمن الأخضرى، متن السلم فى علم المنطق، فصل فى المعرفات ص٦، ط – المكتبة التجارية – بالقاهرة.

(٤) السيد الشريف الجرجانى، التعريفات باب التاء ص٥٤ – ط البابى الحلبى ١٣٥٧هـ – ١٩٣٥م.

١- أن البراجماتية مذهب وطريقة [١]. تتبع فى تقرير فكرة معينة حتى تبلغ لدى أصحابها الاعتقاد لها على الجانب العملى [٢].

وبناء عليه فإن المذهب البرجماتى اتجاه عملى لتقرير وقائع بذاتها يراد بها تحقيق منفعة ذات ارتباط بالمذهب نفسه فإذا خرجت عنه انعدمت المنفعة المرتبطة به.

فقد ذهب جون ديوى إلى القول:

« إن البراجماتية هى النظرية التى ترى أن عمليات المعرفة وموادها إنما تتحدد فى حدود الاعتبارات العملية أو الفرضية، فليس هناك محل للقول بأن المعرفة تتحدد فى حدود الاعتبارات النظرية التأملية الدقيقة أو الاعتبارات الفكرية المجردة » [٣].

٢- هى المذهب الذى يرجع بأصوله إلى القواعد العامة التى تحكم المعرفة الإنسانية فى جانبها العلمى[٤].

وما دامت مذهباً عمليا فهل يمكن له أن يتناول القضايا الروحية أو الوجدانية ويقدم فيها نتائج تعتبر صحيحة على ناحية ما، رغم أن ذلك ليس من موضوعاته البحثية[٥].

---

(١) يقول وليم جيمس فى كتابه البراجماتية: « إن البراجماتية هى فى الأصل وبصفة أولية طريقة لحسم المنازعات الميتافيزيقية التى لولاها وبدونها ما كان يمكن أن تنتهى »، ويضيف جيمس قوله: « إن الطريقة البراجماتية فى مثل هذه الحالات محاولة تفسير كل فكرة تتبع واقتفاء أثر نتائجها العملية كلا على حدة ».
د/ إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة جـ١ ص٦٩، ١٩٩٩م، دار الوفاء.

(٢) راجع بنطوان هرفى، البراجماتية مذهب إنسانى ص١٣، ترجمة ناشد فوزى – ط ١٩٨٧م.

(٣) قاموس القرن ص٣، نقلاً عن د/ إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة جـ١ ص٧٧ .

(٤) جورج فيدر، البراجماتية النشأة، والتطور ص٧، ٨، ترجمة د/ عادل رمزى – ط أولى – ١٩٨٩م.

(٥) القاعدة العامة قاضية بأن فاقد الشىء لا يعطيه، وما دامت البراجماتية ليست لها علاقة بالجوانب الروحية فإنها تسير عاجزة عن تقديم شىء فيها.

٣- إن البراجماتية مذهب يعنى بدراسة الحقائق والوقائع، ويقدم الإجابات الموثقة وفى ذات الوقت أن البراجماتى هو الوحيد الذى يمكن لاعتقاده فى إرادته بالنسبة للوقت الحاضر(١).

وما دام هذا التعريف يقوم على التذكية فقد افتقد الموضوعية إذا كان الواجب تقديم نفسه للآخر على ناحية موضوعية حينئذ يكون أمره قائماً على ناحية مقبولة.

وعلى ما يبدو فإنه هذه النزعة القائمة على التزكية تسرى داخل الإطار البراجماتى فى صورة عملية، وقد اعترف جيمس نفسه بها حينما قال: إننى أقدم البراجماتية ذات الاسم الغريب كفلسفة فى وسعها أن تشيع كل أنواع المطالب وتفى بالأمرين معاً، فى وسعها أن تظل دينية كالمذاهب العقلية ولكنها فى نفس الوقت مثل المذاهب التجريبية تستطيع أن تحتفظ بأغصب وأغنى صلة وثيقة بالواقع والحقائق(٢).

ولا شك أن هذه النزعة الجدلية قد تجد لها صداً فى بعض المذاهب المعاصرة، وترتد أصولها إلى بعض المذاهب الجدلية الشكية ذات النزعة السوفسطائية(٣) التى ظهرت لدى اليونان الأقدمين.

٤- إنها مذهب يعمد إلى البحث عن الحقيقة من خلال [اختراع جديد لاكتشاف شىء سبق وجوده، وهى تخترع الحقائق لنستفيد بها من الوجود كما تخترع الأجهزة الصناعية لتستخدم القوة الطبيعية] (٤).

---

(١) راجع: لوسير كيمل، موجز الحركات الفلسفية المعاصرة ص٢٥٣، ترجمة فايز رزق – ط أولى – ص١٩٨٧.

(٢) راجع: وليم جيمس البراجماتية ص٥٠، ٥١، ويلاحظ أن هذا الموقف الشخصى لا تثبت على ناحية عملية؛ لأن عجزه يطعن صدره.

(٣) **السوفسطائيين:** حركة ظهرت وازدهرت فى بلاد اليونان إبان الخمسين سنة الأخيرة من القرن الخامس، قبل الميلاد، أثاروا الشك، وقالوا بالنسبية الفردية، وهدموا القيم الإنسانية فى مجال الدين والأخلاق وتلاعبوا بالألفاظ وأثاروا الشكوك حول الأنظمة والسلطات الدينية القائمة. د/ حربى عباس محمود/ ملامح الفكر الفلسفى عند اليونان، ص٢٥٧ – ط ١٩٩٧م – دار المعرفة الجامعية.

(٤) هنرى برجسون، مقدمة البراجماتية ص٧، ترجمة عادل فوزى.

وإذا كان تعريف البراجماتية على هذا النحو فمن المؤكد أنهم يقفزون من نوافذ قطار المعرفة دون أن تكون لديهم المبررات الكافية لذات القفز، وإلا فما هو الداعى لضرب الأمثال التى لا تقوم عليها أدنى صورة تطبيقية ما دام البراجماتية بهذه المفاهيم وقد تنبه رويس إلى هذا الفهم حينما نبه إلى أن البراجماتية إنما هى حركة قد تكون عاقلة لكنها لم تقدم النفع العلمى الذى انعقدت الآمال عليها(١).

ولا يخفى أن البراجماتية مهما تم تعريفها فلن يكون هناك ما هو مفيد عند الحكم عليها أكثر مما يقدمه البراجماتيون أنفسهم؛ حيث يعتقدون أن الكلمة [البرجماتيمز]، منحوتة من كلمتين أو مقطعين "برجما" ومعناها المذهب و[تميز]، معناها المنفعة أو العمل(٢).

وأيما كان الأمر فإن البراجماتية ما هى إلا مذهب عملى يقوم على تحصيل المنفعة مستخدماً الوسائل الذرائعية التى تخلص الفكرة من حوزته وتعيده إلى التجربة(٣).

لقد كان جيمس يقرر [أن البراجماتية عمل ينتهى بصاحبه إلى واقع فهى ليست متحيزة للتجربة وحدها كما لا تعتمد على تجريدات ما دامت تنتقل بين الجزئيات لمعونتها](٤).

ولا يمكن أن يمر هذا التعريف البراجماتى دون النظر إلى أنه خلط بين الماهية، والمنهج بين التعريف، والطريقة التى يتم التعامل بها.

---

(١) راجع: لوزيف رويس الفلسفة البراجماتية من خلال القضايا الواقعية ص١٤١، ترجمة ناصر فوزى، وراجع لادوارد هيز زعماء الفلسفة البراجماتية، ص١٤٨، ترجمة هناء فوزى.

(٢) راجع: لجورج ساندر فوكر، المذاهب الفلسفية فى أمريكا الحديثة، ص٧١، ترجمة حنان فوزى.

(٣) راجع لجورج يوداس: التجربة والمحك البرجماتى، ص٣٥، والأستاذ/ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة ص٤١١، ترجمة: زكى عزيز مراجعة فهمى فوزى سنة ١٩٨٣م.

(٤) وليم جيمس، البراجماتية ص٩٦، ترجمة د/ محمد على العريان – ط – مؤسسة فرانكلين، سلسلة كتب لابد أن تقرأ – ط – ١٩٦٥م، وراجع لجورج فوكر، البراجماتية مذهب عملى ص٢٥، ترجمة د./ واصف شكرى – ط ١٩٨٥م.

وفى تقديرى أن الدارسين قد ألمحوا إلى نوعين من التعريف بالبراجماتية يمكن التعامل بهما ثم التخلص منهما فيكون التعامل بهما كناحية تاريخية سردية أما إسقاطهما فيكون من الناحية المنهجية أبرزهما:

الأول: تعريف المعجبين بالموضوعية فى الفكر المعاصر.

أود الإشارة إلى أن من جملة المعجبين بالبراجماتية فى الشرق، د/ زكى نجيب محمود، الذى قال: [إن البراجماتية كانت لفتة جديدة شدت الأعناق، وجذبت الأنظار مما كان وما هو كائن إلى ما سوف يكون، لقد جذبت الأعناق وجذبت الأنظار من الماضى إلى المستقبل وجعلت معيار صدق القول هو ما يترتب عليه من النتائج[١].

يمكن القول بان المعجبين قد أسرفوا فى إطراء المدح والثناء على البراجماتية دون اعتبار لشىء آخر كائن ما تحكيه أفكار مقدسة رغم إنكار البراجماتية للعقيدة الدينية، بالمعنى الاصطلاحى الذى يتعلق بالله وملائكته، وكتبه ورسله طبقاً لما جاءت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

الثانى: تعريف القادحين وهم الذين يقررون اعتبار البراجماتية [حركة قصدية تسعى لتبريرات استقرائية غير قائمة على أصول صحيحة من حيث أن التجربة عمل الحسيين والعقل اتجاه المثاليين، والبراجماتية خلطاً واضحاً وتلفيق متعمد[٢].

وقد أدى ذلك إلى إيجاد نزعة عدوانية ضد الثوابت القائمة بالنسبة للمعتقدات والمعارف بجانب القيم الثابتة فى الأخلاق والسلوك.

---

(١) د/ زكى نجيب محمود، مقدمة للبراجماتية ص٣، ومن المشهور أن د/ زكى نجيب كان من المعجبين بالوضعية المنطقية، وأنه نادى بها، ودافع عنها وبخاصة فى مؤلفاته، ومنها: مقدمة المنطق الوضعى، نحو فلسفة علمية، خرافة الميتافيزيقا، موقف من الميتافيزيقا، والكتابان الأخريان واحد فى موضوعها وإن اختلفت عنوانهما.

(٢) هولمز فيشر، الفلسفة الحديثة المعاصرة ص٢٤٣، ترجمة على زكريا، مراجعة/ فاروق فوزى ١٩٩٨م.

ولا يخفى أن كلا الفريقين [المعجبين والقادحين] يمكن أن يتساقط بحيث تبقى عملية استخلاص تعريف للبراجماتية من القواعد المعمول بها لديهم.

والأفكار الشائعة عنهم طبقاً لقاعدة عامة وهى:

أن الباحث المعرفى عليه أن يقدم شهادة موثقة فى كل ما يتعرض له أو يقع فى نطاق عمله ومن ثم فلا مانع لتطبيق أحكام عملية على قضايا ومعتقدات دينية دون أن يكون لذلك مرجعية توازن فى حقيقتها بين عالم الغيب وعالم الشهادة أو بين ما يقع فى نطاق عمل القلب وما هو أعلى(١).

ولا يخفى أن الباحث عن الحقيقة يسعى إليها بكل طاقته ونحن المسلمين نلتزم بما جاء فى الأثر من أن الحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنى وجدت ولا يبالى من أين جاءت (٢).

وأنوه إلى أن ذلك المنهج قاعدة عملية يستفيد بها بنو الإسلام وغيرهم مما يسيرون على المنحا.

ثانياً: أشهر رجالها:

الدارس للبراجماتية يراها قامت على جانبين أحدهما ما يتعلق بالتاريخ الثانى ما يتعلق بالأشخاص.

وكل منهما له ارتباط بالثانى على ناحية من النواحى، سوف ألمح إليها من خلال ما يلى:

(١) تشالز ساندزبيرس [١٨٣٩/١٩١٤م]

هو: أحد فلاسفة الأمريكان، الذين اشتهروا بين الناس بالمعرفة العملية ذات الارتباط النفعى، ولد فى مقاطعة تكساس ١٨٢٩م، مارس، من أسرة متواضعة الثقافة رقيقة الحال، ويعترف هو بذلك وإن ما عانى منه فى المستقبل كان أثر مما تربص به منذ الصغر فيقول عن نفسه: [كنت أسعى لتعويض

(١) هذا التعريف رأيت وضعه فى ذلك الإطار كنوع من المساهمة المعرفية على أساس أن البناء الثقافى يقدم كل فرد فيه لبنة او جزء لبنى حتى يبقى البناء قائماً.

(٢) راجع: للشيخ السيد محمد على ناصف من أنوار السنة ص٣٥ – ط أولى ١٣٩٧هـ.

القصور التى تعانى منه الأسرة عن طريق الدراسة إذ كانت المنقذ الوحيد من الضياع حيث كان التعويل على ما أقوم به] [١].

التحق بالدراسة فظهر له شىء من التفوق المعرفى ولم يكن مهتماً بالواجبات المدرسية قدر اهتمامه بالأعمال الحرفية التى أجبر على القيام بها حتى يحقق نفعاً مادياً يساهم فى انتشال السرة من الضياع [٢].

ولما أنهى دراسته الاضطرارية تقدم بأوراقه لنيل وظيفة بجامعة هارفارد[٣].

فعمل مدرس بالمنطق لذات الجامعة لكن لم يدم حاله طويلاً نظراً لتقلبه المزاجى.

حرص على إعداد بعض البحوث والمقالات ونشرها فى العديد من الصحف، والمجلات عن طريق المراسلة وفى المقابل يحصل على ما يشبه عائد الوظيفة، ومن هنا يمكن اعتباره مراسلاً لتلك الصحف فى أوقات كثيرة[٤].

كانت الأفكار السائدة عن ديكارت وكانط بجانب الدروانية مما يمثل ثقافة نمطية وبالتالى نظر إليها بيرس وحاول أن يستفيد منها فى مقال له تحت عنوان: كيف نستقبل الأفكار فى وضوح وكيف نوضح أفكارنا عندما نلقيها لغيرنا[٥].

---

(١) تشالز ساندربيرس مذكرات سبيرس ص٨٣، ترجمة عطا فوزى – ط أولى ١٩٥٠م.

(٢) راجع لاسكندر زومر الحركة البراجماتية والتصورات العملية ص١٩ – ط دار الصفار ترجمة خالد زكى ١٩٨٧م.

(٣) هى: الجامعة التى تخرج منها وكانت تقبل من الطلاب الذين ينتهون من الدراسة حتى يشغلوا بعض الوظائف الضرورية وفى ذات الوقت كأنها تعوضهم عن التفوق العلمى بالعمل الوظيفى.

(٤) راجع مذكرات بيرس ص٨٥، وما بعدها؛ حيث نبه إلى هذا التاريخ الوظيفى وما لاقاه فى حياته بحيث يعرضه عرضاً مقبولاً من ناحيته.

(٥) هذا المقال يمثل صيحة فى ليلاً مظلم كان بيرس أثناءها يشعر أنه وحيد وقد تم نشره عام ١٩٠٤م، للمرة الثانية بينما كانت الأولى عام ١٨٧٨م، فى حداثة سنه. راجع لجورج شيفر، الفكر البرجماتى ص١٩٠، ترجمة فوزى نصار ولهانى رزق، الفلسفة البراجماتية من منظور آخر ١٩٢٧م.

تأثر بيرس بالأفكار الكانطية وغيرها ثم ركز على الجانب الإحيائى حتى ظن الكثيرون قربه من دارون[١] فى الآراء ونحال البعض فاعتقد أن بيرس أرجع صدا الفكر الداروينى[٢].

خرج بيرس يطلب العلم ويكتسب ثقافات لم تخرج فى مجملها عن الجوانب النفعية وبالتالى كانت ثقافتهم مادية تجريبية عملية ذات غاية نفعية حملتها جملة من المؤلفات التى صحت نسبتها إليه ولم يعترض عليها البرجماتيون من بعده [٣].

ولا يخفى أنه ولد عام ١٨٣٩م، ولقى حتفه فى يوليه ١٩١٤م؛ حيث ودعته الدنيا غير مأسوفة عليه وبقى موضعة منزويا فى بعض صفحات التاريخ الإنسانى العام بقيت أفكاره ضاغطة على العقل الإنسان حينما تصدم أساسياته أو ضاغطة على العقيدة الإيمانية حينما تسعى إلى ممارسة الإنكار لشىء فيها كما أنه ترك بعض الأفكار تخلط بين الميتافيزيقا التأملية المتعلقة بالغيبيات والميتافيزيقا النقدية المرتبطة بالماديات[٤].

(١) فقد أثرت نظرية التطور فى البراجماتية بصورة عامة وأصحاب مذهب التطور يرون أن الحس والعقل وظيفتان من وظائف الحياة وأن المعرفة آلة للعمل وكان يعتقد أصحاب التطور بأن الدين والعقائد أمور لا ينبغى أن تحتل جانباً من تقدير الإنسان.
هذا أسوأ ما أدت إليه نظرية داروين، وكان من أسباب الفروق بين الدين وسبب الخواء العقدى الذى لا يزال الإنسان الغربى يعانى منه.
حسن محمد الكحلاوى، فلسفة التقدم مكتبة مدبولى ٢٠٣، ص٢١٤، ٢١٦.

(٢) راجع لهانى رزق، الفلسفة البراجماتية من منظور الآخر ص١٣٥.

(٣) من أشهرها دراسات فى المنطق سنة١٨٨٢م، والمنطق الكبير ١٨٩٨م، وكتاب فى الحياة سنة ١٩٠٠م، وفضيلة المذهب البرجماتى، والطريقة البراجماتية سنة ١٩١٠م، راجع هذه المؤلفات لدى كل من شيفر: الفكر البرجماتى ص٧٩ وما بعدها، لإدوار هرمز البراجماتية فى أعيان رجالها ص١١٣، وما بعدها.

(٤) لمعرفة الفرق بن كل من الميتافيزيقا النقدية والتأملية انظر: لسليمان دنيا التفكير الفلسفى فى الإسلام ص٣١٧، وما بعدها، طبعة الرباط د/ محمد البهى الجانب الإلهى ص٢١٥، حيث كان كل منهما يتناول الوضعية المنطقية ويناقشها مناقشة موضوعية.

وأنوه إلى أن بيرس كان يعتقد أن الإله انتهى أمره منذ زمن وأن الموجود فى العقل يحتاج إلى إعادة نظر وهو ما سوف التفت إليه أثناء الحديث عن الألوهية فى البراجماتية؛ حيث أذكر الآثار التى تركها كل واحد من هؤلاء على ذات الفكر.

(٢) وليم هنرى جيمس [١٨٤٢م / ١٩١٠م]:

كثيراً من الدارسين يعولون على جيمس باعتباره الصوت العالى الذى أعلن عن البراجماتية بل يمكن اعتباره الحاكى والقاص الذى لا يفتأ من ترديد الأخبار حول البراجماتية(١).

فقد قدر للبراجماتية الانتشار على يد وليم جيمس الذى أصبح المتحدث والمدافع الأول، والمعبر القوى عن البراجماتية متجها بها اتجاهات زادها انتشاراً وذيوعاً(٢).

ولد جيمس فى التاسع من يناير ١٨٤٢م، بمدينة نيويورك ولما لم تكن الأسرة قد ولد فيها ولد وعاش قبله فقد كان انتظارهم له كبير وقد تحدث عن هذه المسألة وليم نفسه(٣).

وكان أبوه قس بروتستانتى ومن أتباع الإشراقى السويدى سيود بنورج الذى تهكم على كانط من قبل، ولكنه تأثر بآرائه فيما بعد (٤).

عاش والده محافظ على تعليمه الإنجيلية وكان يسعى مع ابنه لينال ثقافة عالية وقد ابلى أبوه معه كل البلاء فى سبيل أن يبلغ ابنه درجة عالية من المعرفة (١).

---

(١) كثيراً من هؤلاء الأفراد يقدمون آرائهم عن طريق الدفع المستمر للآراء والتركيز عليها دون اعتبار لشىء آخر وهذا مما قد يضر بهم ولا يحسب لصالحهم.

(٢) د/ محمود زيدان: وليم جيمس ص١٣٩.

(٣) راجع للدكتور/ فوزى محمد سلطان، البراجماتية فلسفتها وأخلاقها ص٢٢٣.

(٤) راجع للأستاذ يوسف كرم، الفلسفة الحديثة ص٤١٦ – ط السادسة، دار المعارف – القاهرة.

كانت ثقافته تجمع بين الجانب العملى والنظرى أول الأمر، ثم انفصل عن النظرى ليقوم بالعمل؛ حيث درس علوم الكيمياء والتشريح المقارن بجانب علم الفسيولوجيا.

وقد أدخله أبوه مدرسة الطب اعتقاداً منه أن ذلك يؤهله لأعمال مفيدة فى المجال التبشيرى أو التنصيرى[٢].

لقد كان لجيمس تأثيره البالغ فى البراجماتية؛ حيث يمكن أن ينظر إليه بأنه كان رد فعل قصد به محاربة المذاهب العقلى الذى أسرف أصحابه فى القول به وكذلك محاربة مذهب الواحدية أو الفردية الذى قال به أصحاب الفلسفة المثالثة المطلقة، واعتبارهم العالم نظاماً أزليا تاما الخلق والتكوين لا يعتريه شىء من التغير.

وقد تأثرت فلسفة جيمس إلى حد ما بفلسفة رينومييه، وهو الفيلسوف الفرنسى الذى انتصر لمذهب الاختيار على المذهب العلمى للجبر[٣].

أثناء الدراسة تعرف على أندريه هوفر الذى كان يعانى من الوساوس النسبى ومن كثرة حديثه عما يعانى تأثر به جيمس ونتج عنه شىء من الاضطراب الذهنى الخفيف أول الأمر ما لبس أن ازدادت حدته فتحول من دراسة العلم الطبيعى إلى الفلسفة رغم أنه لم يكن مؤهلاً لذلك النوع من الدراسة[٤].

---

(١) راجع لنظمى فاخر، الفلسفة الحديثة دراسة تأصيلية ص٧٧ – طبعة أولى ١٩٨٤م، ولجورج فايدى دراسات فى البراجماتية أعلامها وأفكارها ص٧٨، ترجمة حسن على والأستاذ يوسف كرم تاريخ ص٤١٦، يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٤١٦ دار المعارف – ط – ٥ .

(٢) أصحاب الاتجاهات التنصيرية يجدون القيام بالأعمال المهنية حتى تكون أحد أبوابهم إلى عقول الناس نظراً لارتباط ذلك بالمصالح وعادة أن يقع الناس أسرى لما يستفيدون.

(٣) وولف: فلسفة المحدثين المعاصرين، ترجمة أبو العلا عفيفى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٤م، ص١٦٢.

(٤) هذا التحول ظهرت آثاره فيما بعد على كافة الآراء التى قال بها لأنها خليط من الاضطرابات النفسية والاهتزازات المعرفية وهذا مما تكشف عنه الأفكار التى تبناها جيمس

درس فى بداية حياته العلوم وحصل على الدكتوراه فى الطب وعين أستاذ للفسيولوجيا والتشريح بجامعة هارفارد ثم انصرف إلى علم النفس ومنه إلى الاهتمام بالفلسفة.

ويفرق جيمس بين نوعين من المعرفة الأول معرفة الإنسان بالأشياء، ومنها تدرك الأشياء إدراكاً مباشراً، الثانى: معرفة الإنسان بحقيقة الحقائق عن الأشياء وفيها لا تدرك الأشياء إدراكاً مباشرة بل بواسطة المعانى القائمة بالنفس. أما فلسفة جيمس العملية فتظهر فى طريقة تأويله لهذه المعانى بإضافتها إلى النتائج العملية التى تضمنتها وإلى الاحساسات المتوقعة عنها وإلى الانفعالات التى تلزم إعدادها لها(١).

حاول جيمس أن يستعيد ذاته لكن الوقت قد فات وبالتالى جاء جزء كبير من ثقافته يحتاج إلى إعادة النظر فى أصوله التى قام عليها والتى كان لها العديد من الآثار السلبية ظهرت فى المعتقدات والآراء البراجماتية حتى أن بيرس قال لقد كان وليم جيمس شخصية مرضية تحتاج لدراسة من جديد(٢).

سعى المقربون منه فى أن يشغل بعض الوظائف وقد تمكن من ذلك ويعتقد الكثيرون أنه استطاع أن يزاوج بين دراسته العلمية التجريبية وأخرى النظرية وأنه جمع بين علم النفس النظرى والآخر التجريبى العملى. وهذا ما سوف تظهر آثاره أثناء الحديث عن دوره فى قضية الألوهية.

استطاع جيمس أن يترك آثاراً كثيرة شغلت الناس بالبحث والدرس يمكن أن يطلق عليها اسم المؤلفات وهى تجئ فى ثلاث تصنيفات:

فيما بعد، راجع لزنجر البراجماتية والدراسات النفسية، ص١٨٧، ١٨٨، ترجمة أمل المراكبى ١٩٨١م.

(١) وولف – فلسفة المحدثين والمعاصرين ص١٦٣.

(٢) راجع: لفيكتور رامز الفلاسفة المحدثون فى أمريكا ص ١٥٣، ترجمة ناهد شوقى.

التصنيف الأول: المحاضرات(١)، والمقالات التى ألقاها بنفسه، ونشرها حال حياته.

التصنيف الثانى: المصنفات المكتملة التى نقلت آراءه الفكرية فى صورة محددة طبقاً لمقدرته العلمية وكفاءته الاستقرائية وقد نشر أغلبها بنفسه حال حياته (٢).

التصنيف الثالث: المؤلفات التى لم تتم وتحتل فى ذات الوقت أفكاراً لم تختم وتعبر عن وجه نظره فى القضايا التى تناولها كلما تقدم به السن، وصقلته التجربة فإن أبحاثه تجئ فيها الكثير من النتائج المعرفية والعلمية(٣).

التصنيف الرابع: مؤلفات نشرت بعد وفاته، كانت فى الأصل صورة مشاريع دراسية لم تكن انتهت فلما مات قام المقربون منه بنشرها والتعليقات عليها ودعمها بالعديد من الشروح وقد تنامت أعدادها حتى اعتبرها الكثيرون حاملة آرائه فيما صدر عنه ومن ثم جاءت متعددة(٤).

وبعد رحلة من العمر الزمنى ابتدأت عام ١٨٤٤، وانتهت ١٩١٠م، يتحول جيمس إلى خبر بعد أثر وذكرى بعد واقع وتبقى آراءه فيما يتعلق بالعطاء

(١) لمعرفة هذه المحاضرات والمؤلفات على جانب تفصيلى، راجع: لتشارلز ديوكان الفلسفة فى القرن العشرين ص١٥٧، ١٥٩، ترجمة عادل فوزى؛ حيث ذكرها تفصيلاً وقدم ملخصاً لكل منها.

(٢) كان هذا النشر أحد الوسائل الإعلامية بالنسبة له وهى متنفس أفادت كثيراً. راجع: لتشارلز ديوكان، الفلسفة فى القرن العشرين ص١٧١، وما بعدها.

(٣) نبه إلى هذه المجموعات إدوار هوفر فى كتابه: الفلسفة الحديثة نظرات على المنهج ص١٥٧، ١٥٩، ترجمة وفاء صبرى.

(٤) منها مبادئ علم النفس ١٨٩٠، الكون ١٨٩١م، أصول علم النفس، ١٨٩٣م، موجز علم النفس ١٨٩٤م، إرادة الاعتقاد ١٨٩٧م، أنواع مختلفة من التجربة الدينية ١٨٩٩م، إنهاء التجربة الدينية ١٩٠٢م، البرجماتيزم ١٩٠٧م، الكون المكثر ١٨٠٩م، بعض المسائل الفلسفية ١٩١١م، محاولات فى التجربة البحثية ١٩١٢م، راجع لفيشر: الفكر الفلسفى الحديث ص١٣٢، ١٣٧، ترجمة: عادل أغا.

الفلسفى والتناول المعرفى وعلى الأخص الجانب الميتافيزيقى محل عناية ودراسة سأكشف عنها عندما يأتى الدور عليها.

(٣) جون ديوى: [١٨٥٩م/ ١٩٣٠م]:

يعتبر دوى من أكثر الفلاسفة جدلاً وأوسعهم بحثاً وأقلهم شهرة حتى أن تاريخ وفاته محل جدل بين الدارسين(١).

كانت المثل العليا تغلب على بعض فئات من الناس غير أن ديوى غلبت عليه النزعة الهيجلية التى ترى أن: « القلق القائم بين جنبات الفكر الإنسانى أصله التعارض الشديد بين المثل العليا والواقع المعاش » (٢).

ولد ديوى فى أكتوبر عام ١٨٥٩م(٣)، لأب تاجر متنقل بين الحبوب تارة والجلود أخرى حدثت له اضطرابات فى سوق التجارة والمال ولما كان كثير الأولاد وقع له الإفلاس فانتقل بالأسرة من فلوريدا إلى غيرها طلبا للاستقرار وسعياً وراء لقمة العيش. نشأ ديوى فى هذا الجو المضطرب مما أثر على نفسيته وبالتالى لم يكن له دراسة منتظمة(٤).

وهذا مما أثر على كثير من القضايا التى سعى إليها.

أجل كانت إمكانيته فى الحفظ كثيرة فهو أقرب ما يكون إلى العلب المعبئة لكنه لم يكن قادر على استخدام ما فى هذه المعلبات(٥)، ومن هنا جاءت ثقافته تحصيلية لا إبداعية، وقد ترتب على ذلك التنقل بين المدارس وكذلك الأعمال المهنية

(١) راجع للأستاذ على عبد الوهاب: الفلسفة والفلاسفة غموض متبادل ص٤٧، وراجع لأدور هيف، الحركة العاقلة فى أوربا العصر الحديث ص٤١، ترجمة خالد فوزى.
(٢) راجع: ادوار هيف: الحركة العاقلة فى أوربا العصر الحديث ص٤٣.
(٣) راجع للأستاذ يوسف تاريخ الفلسفة الحديثة ص٤٢٥.
(٤) راجع: لجورج بوست الفلسفة الحديثة فى سير علمائها ص٨٥، ٨٦، ترجمة صابر زكى ١٩٨٤م.
(٥) راجع: فوزى محمد سلطان البراجماتية فلسفتها وأخلاقها ص٢٥٧ – ط أولى ١٩٥٣م.

لقد آمن ديوى بأفكار هيجل الميتافيزيقية فى بداية حياته الفلسفية علمه هيجل أن الواقع عملية تنتهى إلى غاية هى الوصول إلى الوجود المطلق وأن مطلب الإنسان وسعيه نحو الحقيقة جزء من أداء هذه العملية وعلمه أيضاً أن الحقيقة التى يبحث عنها الإنسان فى تطور ونمو وأن غايته الوصول إلى المطلق أى مطابقة الفكر لعقل خالد منذ البداية(١).

وقد تأثر ديو بـ داروين ونظريته التطورية فى البيولوجيا كما تأثر بمذهب هيجل اقتنع ديوى أن البيولوجيا ينبغى أن تكون أساس العلوم والبحث الفلسفى فبدلاً من النظر إلى أساس رياضى أو ميتافيزيقى للمعرفة بحث عن اتخاذ البيولوجيا أساس لنظرية المعرفة فأصبح الإنسان كائناً بيولوجياً وظيفته وهدفه هو التفلسف(٢).

لقد كانت أفكار هيجل تجرى بين الأوربيين فى اتجاهات عديدة وبالتالى تأثر بها الكثيرون وكذلك الحال مع شيلنج حتى قيل أن الثقافة الألمانية هى التى تفرض نفسها على الجميع(٣).

لقد تأثر ديوى فى ثقافته بما قرأه وأعجب به حتى سار راوى للغير وقد بذل جهود كثيرة وحصل على درجات علمية صارت بمثابة جواز المرور له حتى عين مدرس للمنطق فى جامعة كولمبا، وبعدها تمكن من نشر آراءه وأفكاره بطريقة سهلة، كما كلف بإعداد محاضرات حول السلوك الإنسانى(٤).

---

(١) محمود زيادن، وليم جيمس ص٢٠٦.

(٢) المرجع السابق ص٢٠٧.

(٣) تعددت مؤلفات هيجل التى شكلت العقلية الألمانية فى ذات الوقت فينومنلوجيا الذهن، المنطق، موسوعة الفلسفة، مبادئ فلسفة الفقه، دروس فلسفة الدين، دروس فى الفلسفة، فلسفة الجمال، والفلسفة الهيميلية، الفكر علاقته بالألفاظ، اللغة والمنطق، راجع: للدكتور فوزى محمد سلطان، البراجماتية فلسفتها وأخلاقها ص٢٥٩.

(٤) راجع لهنرى بورش مقدمة البراجماتية ص٩، ١٠، وراجع: لشيفر الاتجاه البرجماتى فى الفكر المعاصر ص٢٧، ترجمة عبد العظيم زكريا ١٩٢٨م.

شغل ديوى الرأى العام فترة كما باتت مؤلفاته محل نظر وبخاصة ما يتعلق فيها بالدين والسياسة وقد ساهم فى ذلك تعيينه مستشاراً منهجياً لإدارة الجامعة [١].

لقد ظهرت له مؤلفات بعضها عبر عن المشكلات اليومية وبعضها تناول قضايا ميتافيزيقا بجانب كل من علم النفس وعلم الجمال غير أن خطاياه الكبرى حينما تناول الدين والأدب واعتبر كل منهما بديلاً عن الآخر[٢].

من الواضح أن ديوى كانت له مؤلفات عديدة لقد نشر أغلبها حال حياته، وكلها تناولت ما يتعلق بالواقع وأراءه فى الدين والحياة [٣].

لكنها أثرت تأثيراً سلبياً عندما خاصمت الحقائق الثابتة [الله، الروح، الخلود]، وتبنت قضايا طبيعية مردها كثير من السلوكيات النفسية وهذا مما حسب عليه ولم يحسب له[٤].

لقد كانت مؤلفاته من الشواهد عليه وبالتالى كموقفه من الألوهية إنما يكون مصدرة هو تلك المؤلفات التى كتبها بيده أو كتبت له وأقرها.

وفى عام ١٩٣٠م، انعزل عن الجامعة واختفى بعيداً عن الأنظار وبعد فترة اكتشف الناس موته وأسدل الستار عليه ونعت الندارات التى واجهته فى قبره

(١) نبه إلى ذلك شيفر فى كتابه الهام الاتجاه البرجماتى فى الفكر المعاصر ص٢٣١.

(٢) الدين مصدره الله والأدب مرآة عاكسة فى حياة الناس فكيف سمحت له نفسه اعتبار كل منهما بديلاً للآخر أو مساوياً له من هنا كان خطئه المتكرر.

(٣) راجع للدكتور/ فوزى نصر – ديوى وأفكاره الفلسفية ص٩٣، وراجع للأستاذ/ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٤١٧.

(٤) أشهر مؤلفاته دراسات فى النظرية المنطقية نشر سنة ١٩٠٣م، كيف نفكر نشر سنة ١٩١٠م، محاولات فى المنطق التجريبى العقل الخالق سنة ١٩١٧م، راجع للدكتور/ فوزى نصر، ديوى وأفكاره الفلسفية سنة ١٩٩٣م، الطبيعة الإنسانية والسلوك سنة ١٩٢٢م، مجموعة مقالات فى السياسة والحياة سنة ١٩٢٥م، الفلسفة الاستقرائية سنة ١٩٢٧م، طلب اليقين سنة ١٩٢٩م، راجع للأستاذ يوسف كرم تاريخ الفلسفة، ص ١٤٢٥، د/ فوزى نصر دوى وأفكاره الفلسفية، سنة ١٤٢٩هـ.

وستواجه غيره إلى قيام الساعة هى قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ** ﴾ (١).

ومما نعنى به هو التأكيد على قاعدة أساسية عمادها اقتران تلك الأفكار البراجماتية بذات الرءوس التى أمكن الإلماح إليها. وأثر ذلك على المعتقدات الدينية وهو ما سألمح إليه إنشاء الله تعالى.

هناك شخصيات أخرى التحقت بالبراجماتية وكان لها بعض التأثير فيها لكن لم تكن نفس الشهرة الحاصلة لهؤلاء كما لم تكن لها من الآثار بعقد ما للآخرين مما مر ذكرهما وهذا مما يجعلنى لا ألتفت إليهم الالتفاتة الضرورية حتى لا يطول البحث أو تمتد صفحاته. إذ المطلوب هو الوصول إلى اللب وأعنى به موقفهم من الألوهية.

ذلك ما سوف أتناوله فى الفصل التالى إن شاء الله تعالى.

❁❁❁❁

(١) سورة الأنعام من الآية رقم ٩٤.

الفصل الثانى

موقفهم من الدين

موقفهم من الدين:

تعتبر الألوهية فى الميزان العقدى لب المسألة إذ الدين قيامه به وإذا خلا الدين من الألوهية انعدم وجوده؛ لأن الدين [وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل][1].

والدين بالمعنى العام قسمان:

الأول: الدين الإلهى: [يحسن الله تعالى به إلى البشر على لسان واحد منهم لا كسب له فيه، ولا صنع، ولا يصل إليه بتملق ولا تعلم وإنما هو وحى، وتعلم من الله تعالى يلقيه الله إلى عبده النبى المرسل من قبل الله تعالى: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [2].

الثانى الدين الوضعى: وهو الذى صنعه أصحابه ولا علاقة له بالدين الإلهى وله تسميات كثيرة ومتعددة ومن سماته أنه ليس من عند الله ولا علاقة له بالوحى تجئ فيه الألوهية فكرة وليست عقيدة كما يقع فيه التجسيد والتمثيل، ويوصف الإله بسرعة التغير واتخاذ القرارات السلبية إلى غير ذلك من الوجوه التى كشفت طبيعة الأديان الوضعية [3].

ويبدو أن البراجماتية لم يكونوا على استعداد لتقبل الدين الإلهى وإنما كانوا يعتقدون فى دين يتناسب مع مقرراتهم الثقافية وهو الدين المعرفى أما لماذا فلأن جملة المبادئ التى قام عليها البراجماتيون تتشكل مع الواقع المادى ولا تقبل

---

(١) د/ محمد عبد الله دراز الدين، ص٧، وقريباً منه ما ذكره د/ عوض الله حجازى، حين قال: «إن الدين وضع ألهى، يرشد إلى الحق فى الاعتقادات وإلى الخير فى السلوك والمعاملات. مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص١٠ – ط ٤ – دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٤١٤هـ –١٩٩٣م.

(٢) سورة النجم الآية رقم ٤.

يسمى الدين السماوى ويسمى الدين الإلهى ويسمى الدين الصحيح، ويسمى الدين المنزل ويسمى الدين المعصوم وجميعها تسميات لاتنصرف إلاعلى الدين الإلهى، د/محمد حسين موسى محمد الغزالى، تأملات غزالية فى البراجماتية والوضعيةص٦٤،ط١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

(٣) راجع د/ محمد رجب عبد الخالق، الأديان دراسات فى الدين الإلهى والوضعى، ص٣٥ – ط دار الجيل ١٩٨١م.

الاعتقاد فى وجود الغيبيات بدليل المبدأ الثابت عندهم أن العمل هو المبدأ العام المطلق وهو العلو على كل شىء وهو الدين الذى يجب أن يتمسك به الجمع [١].

ويفرق جيمس بين نوعين من الدين الأديان السماوية والأديانات الشخصية ويعلن أنه لم يهتم بالأديان السماوية وسيوجه همه إلى الديانة الشخصية فيقول «سأتجاهل الدين السماوى تماماً ولن أعتنى كثيراً باللاهوت ولا بالأفكار حول الآلهة ذاتها، وسأحدد نفس ما وسعنى الجهد – بالديانة الشخصية البسيطة] [٢].

وأيضاً يذهب جيمس إلى: أن الذى يكون صميم الدين ليس الطقوس ولا الفرائض ولا المعتقدات بل الذى يكون صميم الدين هو العاطفة والشعور الدينى.

فالإيمان بالدين عندهم يتوقف على العاطفة، وهى متقلبة وبالتالى فالإنسان سوف يؤمن فى حالة مزاجية عاطفية وجدانية جيدة ويعود إلى الإلحاد عندما تتغير حالته المزاجية مما يعرض الدين لأهواء والرغبات الشخصية.

ولا يناقش وليم جيمس فى أبحاثه تعريفات الدين لأن الدين فى نظره لا يمكن الوصول إلى تعريفه تعريفاً دقيقاً. إلا أن الباحث فى الأديان لا يمكن أن يبحث فى شىء مجهول لديه، ومن ثم نرى جيمس يحاول أن يقدم تعريفا تقريبياً، وبعبارة منطقية تعريفاً بالرسم فهو يعرف الدين الشخصى فيقول: «الدين مشاعر وخبرات بنى الإنسان منفردين، إذا اعتبروا أنفسهم فى علاقة مع ما قد يرون أنه إله » [٣].

وكلمة إلهى فى التعريف لا يعنى بها جيمس النسبة إلى إله الأديان السماوية، وإنما يعنى بها ما يشمل كل معبود[٤].

---

(١) راجع: وليم جيمس البراجماتية ص٩، وذلك مما يؤكد أن فكرة العمل المطلق العام تعتبر المبدأ الأساسى أو على الأقل هو أهم المبادئ عندهم.

(٢) الشيخ كامل محمد محمد عويضة، وليم جيمس رائد المذهب البراجماتى ص١٢٩، دار الكتب العلمية.

(٣) وليم جيمس، البراجماتية ص٩.

(٤) د/ سيد عبد التواب عبد الهادى، العقيدة ومشاكلها، دراسة فى ضوء الفكرين المسيحى والإسلامى، ص٢١، ٢٢، مطبعة الفجر الجديد ١٩٨٠م.

ومن قبله ذهب بيرس إلى: «أن الدين تجربة، تقوم على عملية استنباطية، تتعلق بها فوائد نفعية مرتبطة بالإنسان كفرد محدد؛ بحيث ينتهى الأمر به إلى السعادة التى يتعلق بها وتساهم فى رغبته الحياتية، حتى لا يقع عليه ضيم أو جور فإذا وقع له شىء من ذلك كان الدين الذى يعتقده غير صحيح»[1].

ويرى جيمس أن للسلوك دافعين: فإما أن يكون الدافع هو طبيعيا الغريزية والإرادة أو أن يكون الدافع هو الذهن. ويدافع عن الأول ومنتميه فى تقرير الاعتقاد الدينى ويصوغ جيمس نظريته هذه فيقول:

« نظريتى أنه يجب أن يكون لرغباتنا الحق المشروع فى تقرير الاختيار بين القضايا حين لا يمكن تقريره على الأساس الذهنى ذلك لأنك حين تقول: (لا تقرر حينئذ شيئاً، بل اترك المسألة مفتوحة) فإنك تقرر قراراً عاطفياً هو الآخر، كأنك قلت نعم أو لا [2].

وبالتالى يصعب على البراجماتية وضع تعريف اصطلاحى للدين؛ حيث أنه مجموعة من الوجدانات وأفعال وتجارب يعانيها الأفراد فى وحدتهم كلما أدركوا أنهم على علاقة مع أى شىء يعتبر إليها.

أولاً: موقفهم من قضايا الدين:

لما كان الدين وحى إلهى وليس مبدأ عملى فقد أنكروا الدين بالمعنى الشرعى وأقروا بالدين على ناحية المبدأ فى عمل. ومن ثم جاءت مبادئهم العامة تشير وفقاً للتالى:

(١) إنكار ما لا يقبل التطبيق:

(١) إدوار هيفر: الفلسفة البراجماتية ص١٥٧،ترجمة حنان صابر ١٩٨٧م.

(٢) يرد جيمس أن الذهن ليس الأساس الوحيد لاختيار صحة فرض أو كذبه، وإنما توجد أسس أخرى أهمها الوجدان والرغبة والعاطفة. محمود زيدان ، وليم جيمس – دار المعارف بمصر، ص١٣٩، يقلل جيمس هنا من قيمة البراهين العقلية فى إثبات الدين أو إنكاره وأنه لا يصلح أساساً لإقرار عقيدة الدين بل المعتمد هو الاعتقاد الغريزى الذى لا يتبع استدلالا وإن الشىء العميق والحق هو الوجدان لا العقل.

ما يقبل التطبيق على أرض الواقع يعتبر دين وما لا يقبل يجب إسقاطه من الحسبان وهم بهذا يتفقون فى النتيجة مع أصحاب الوضعية المنطقية [١].

من حيث إنهم لا يعتقدون بوجود شىء خارج هذا المبدأ والفرق بينهم هو أن البراجماتى يتشبث بالواقع بالتخصيص والتميز كما يلاحظ الحقيقة وهى تعمل فى حالات معينة خاصة ثم يعمم وبالتالى فالحقيقة لديه تسير اسما تصنيفياً فقط والدين لا يخضع لهذا والألوهية لا ينطبق عليها ذلك المعنى وبالتالى تبقى مشكلة الاعتراف بالدين الإلهى من المسائل المختلف حولها[٢].

(٢) يعتقد البراجماتية أن التجربة الدينية هى التى يمكن الاعتماد عليها وهى تقوم عندهم فى أن العقل يدرك المعانى والمفاهيم الكلية، وبالتالى فكل المعتقدات الدينية التى يجب عليه التصديق بوجودها هى التى يمكنه التعرف عليها[٣].

والتجربة الدينية مصطلح فلسفى انتقل إلى الأعراف الكهنوتية بناء على أن دارس الدين ينظر إلى كافة الظواهر الدينية بمنظور واحد وليس لديه ما يقبله تحت مسمى العقيدة الدينية [٤].

هذه التجربة الدينية لديهم تمثل الصوت القوى داخل العقل ولو لم تكن كذلك لجاءت تسميتها على ناحية أخرى يقول الدكتور/ فوزى سلطان: [إن التجربة الدينية لما كانت ذاتية فإنها قد تقبل لدى شخص ما

(١) الوضعية أنواع ثلاثة: الأول: هى الوضعية الطبيعية ومن زعمائها الأساسيين: إدوارد هوفر، وفيش جينش، وجوندر. الثانى: الوضعية الاجتماعية، ومن أشهرهم: دوركيون. الثالث: الوضعية المنطقية، ومن أشهر رجالها: ابلتك وشوكز.

(٢) راجع: د/ فوزى عبد المقصود نصر الله – البراجماتية ص٨١ – ط أولى ١٩٧٥م، وللأستاذ على عبد الوهاب، الفلسفة والفلاسفة غموض متبادل ص٩٢.

(٣) راجع: لادوارد، التجربة الدينية فى البراجماتية ص١١٢، ١١٣، ترجمة ناصر زكى – ط أولى ١٩٨٤م.

(٤) التجربة الدينية تكون عندهم ذاتية، يمكن التصديق بها أو إنكارها والعقيدة الدينية قد تأتى تبعاً لها أو مستقل عنها.

وترد بالنسبة لآخر ولذلك لم يكن وجودها قوى ولا مؤثر والدين الذى يقوم عليها هو الأخر يخضع لهذا المعيار] [1].

ولا يخفى أن التجربة الدينية التى يعولون عليها لا علاقة لها بالأمراض النفسية بناء على الحقيقة العلمية الواحدة وتكمن فى الواقع ولا يقلل من دورها العمل كما لا يزيدها على أساس أن العمل فيها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة الإلهية المشروعة السماوية [2].

(٣) إن التجربة الدينة[3] فى حد ذاتها [إنما هى شعور قوى غير منازع بحضور إلهى، يمنحنا ما لم تكن لتوفره لنا جهودنا واستدلالنا وعلى هذا فالتجربة ترجع إلى عقيدة ثابتة.

فإذا تم النظر إلى هذا المبدأ انتهى الموقف بنا إلى أن التجربة الدينية هى التطبيق العملى للعقيدة الدينية ولذا صح فى الأثر الإيمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل.

ونحن لا نرى سببا مقبولا للخلط بين التجربة الدينية ونقصد بها التطبيق العملى وبين العقيدة الدينية التى تقوم على الجانب النظرى وأعنى به الإيمان[4].

---

(١) د/ فوزى محمد سلطان. البراجماتية فلسفتها وأخلاقها ص٢٥٧.

(٢) العقيدة الإلهية لها تأثيراً إيجابى على الإنسان وبالتالى فالتجربة العملية بالنسبة لها تعبر عن ترجمة واقعية ولذا عرف علماء المسلمين الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل.

(٣) يوسف كرم. تاريخ الفلسفة الحديثة ص٢٢١، لهيفر البراجماتية وأنا ص١٤٥، ترجمة زكريا توفيق.
وقد كان جيمس وهو فى التاسعة والعشرين من عمره قد انتابته أزمة حادة فشفى منها بقبوله فكرتى العون الإلهى والحرية الكفيلة بتغير مصير الإنسان، وآمن بالتجربة الدينية وقادته دراستها إلى أنها أغنى وأعمق من التجربة العلمية وإنها تفسر إذا سلمنا أننا نشارك مشاركة شعورية فى موجود أعظم منا نستطيع أن نسميه الله أو الألوهية، يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة ص٤٢٠.

(٤) حيث دل الأمر على أن الإسلام يجئ فى:
١- الإيمان وهو الجزء النظرى وأعنى به أجزاء العقيدة الإلهية وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن يؤمن بالقدر خيره وشره. =
= ٢- الإسلام وهو التطبيق العملى وجاء به الحديث، قال ﷺ: « بنى الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً.

ومن هنا أرى التمسك بالتجربة الدينية على أنها التطبيق العملى الذى يتحقق به السعادة الإنسانية وبما يمهد للحياة الباقية فى الآخرة يدل عليه أن التجربة الدينية تزكى النفس الإنسانية وينقلها من الأمارة بالسوء إلى اللوامة، إلى المطمئنة.

فالأمارة بالسوء التى جاء ذكرها فى قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ (١).

واللوامة جاء ذكرها فى قوله تعالى: ﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ (٢).

والثالثة جاء ذكرها فى قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي)**﴾ (٣).

وبهذا يتبين أن قضايا الدين حتى وإن اعتبرت من التجربة الدينية التى تقبل التجريب عليها فإن مردها راجع إلى ذات القائم بها وكلما كانت قدرته العقلية متوافقة مع حقيقته الإلهية فإنه يحقق أعلى النتائج.

ثانياً: موقفهم من معيار صدق الدين:

يعتقد البراجماتيون أن الدين على أى وضع كان وأى ناحية وجد لابد له من أمر ما يعتمد عليه وتثبت به صحته، إذا كان صحيحاً على هذا الأمر الذى وضعوه اعتبر الدين صحيحاً وإذا لم يكن موافقاً اعتبروه ديناً فاسداً.

ومن ثم بات من الضرورة الحديث عن هذه الجوانب:

٣–الجانب القيمى: الذى يعتمد على مراقبه لنفسه أما الله وهو مقام الإحسان وقد ورد الحديث: ما الإحسان ؟ أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ».

(١) سورة يوسف من الآية رقم ٥٣.

(٢) سورة القيامة الآيتان ١، ٢.

(٣) سورة الفجر الآيات من ٢٧: ٣٠.

(١) **معيار الحقيقة**[١]: الحقيقة هى ما به تعريفه ووجوده فإذا لم توجد لم يوجد حيوان ناطق للإنسان فإذا لم يوجد الحيوان الناطق لم يوجد الإنسان وإذا وجدالإنسان وجد الحيوان الناطق [٢].

فحقيقة الشىء هى الأمر الثابت له يقينا بحيث تكون خالصة له من كل شىء والقاعدة المقررة بين العلماء هى أن حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافاً للسوفسطائية [٣].

ولما كانت الحقائق والأشياء بهذا الجانب من الثبات فإن الطاعن عليها المنكر لها لا يقبل قوله واستقر فى الأفهام أن المجادل فى البديهات لا يلتفت إليه وقد ثبت أن إدراك الحقيقة، إنما هو إدراكى وبالتالى فمعيار الحقيقة ثابت فيها ويعبر عنه من خلال القواعد القائمة.

(٢) يقرر البراجماتية أن الحقيقة أن هى إلا علاقة تحصل بين الفكرة وموضوعها إذا حدث اتفاق بين الفكرة والموضوع فى الواقع كانت تلك الحقيقة صادقة ومعيار صدقها هو الاتفاق[٤].

وبناء عليه فمهما كان الشىء حقيقته فى نفسه ولم يتم إدراك موضوعه على أرض الواقع كانت الفكرة كاذبة بل لم يكن هناك من شىء يمكن أن يسمى حقيقة، ويعتقد البراجماتيون أنه بمقدار ما يكون بين الفكر والموضوع من علاقة صحيحة بقدر ما يكون هناك من حقيقة ولا ينعكس الأمر فكائن العلاقة هى التى

(١) الحق هو الثابت الذى لا يسوغ إنكاره، كما يعرف بأنه الحكم المطابق للواقع بما يشمل الأقوال والعقائد والأديان. لشريف الجرجانى – التعريفات باب الحال ص٧٩.

(٢) ويتنوع إلى الحقيقة اللغوية والعقلية، وحقيقة اليقين وحقيقة الحقائق والحقيقة المحمدية. المرجع السابق ص٨٠، ٨١.

(٣) راجع للكمال ابن الهمام المسامرة لشرح المسيارة فى علم الكلام ص١٥.

(٤) راجع لاندرية فيدر الفلسفة والعلم ص١٧٧، ترجمة هناء رضوان ١٩٨٧م.

توجد الحقيقة مع أن العلاقة نوعية والحقيقة أصلية. العلاقة مجرد رابطة بين فكرة وموضوع والحقيقة هى التى يدور فى إطارها كلا من الفكرة والموضوع(١).

يقول جيمس فى ذلك:

« والواقع إننا فيما يتعلق بالميتافيزيقا والدين نجد للأسباب المفصلة والبراهين المنطقية قوتها حين تكون وجداناتنا عن الواقع قد انطبعت فينا فعلاً، وإن حدوسنا وعقولنا يعملان جنبا إلى جنب.. .. إن اعتقادنا الغريزى هو الذى يضع هيكل الحقيقة الأساسى دائما وليست فلسفتنا اللفظية إلا ترجمة منسقة.. .. الغريزة تقود والذهن تابع » (٢).

(٣) إن الجنس يربط العلاقة بالاستفادة فكانت لا علاقة إلا بحقيقة ولا علاقة إلا بالاستفادة وبالتالى صارت الدورة ثلاثية: حقيقة / علاقة / استفادة، وبناء عليه تتحول الحقيقة من واقع ثابت إلى صفة تخص بعض الأفكار والدين مجرد خاصية تقبلها بعض الأفكار أو ترفضها يقول جيمس: [إن الجزء المحورى الذى يدور عليه كتابى الموسوم بالبراجماتية هو مستقاة كمادة من العلاقة المسماة الحقيقة التى تحصل بين فكرة أو رأى أو عقيدة وبين موضوعها(٣).

فالمحور الرئيسى فى فلسفة جيمس هو راية فى « المعنى » معنى اللفظ أو معنى العبارة فماذا تعنى هذه الكلمة ونظرته فى المعنى لا تختلف فى جوهرها

---

(١) هذه الفكرة تعبر عن صورة من العدل السوفسطائى نظراً لارتباطها بالمعيار وارتباط المعيار بالحقيقة فلا يثبت أحدهما إلا بثبوت الآخر وهو ما يسمى بالدول الظاهر حيث تتوقف على أحدهما على الثانى.

الدور هو: توقف الشىء على ما يتوقف عليه ذلك الشىء كتوقف وجود عمرو على المتوقف على وجوده عمرو.

(2) James.V.R.E.P74

نقلا عن وليم جيمس رائد المذهب البرجماتى الشيخ كامل محمد عويضة.

(٣) جيمس هنا يشير إلى جملة من الألفاظ تتسع متى شاء وتضيق وقت ما يريد وأعنى بها ألفاظ ١– العلاقة. ٢– الاستفادة. ٣– الفكرة . ٤– الموضوع. ٥– الحقيقة.

وهذا مما يؤكد الاضطراب النفسى الذى صاحب زعماء البراجماتية فى أطوارهم الحياتية ثم تأثروا به على الناحية الواقعية.

عن نظرية بيرس فهما معا يذهبان إلى معنى فكرة من الأفكار، المعنى الذى يجعل الفكرة مفهومة وذات دلالة هو النتائج العملية التى تترتب على الفكرة فى خبراتنا فلا معنى للعبارة إلا بالنتائج المترتبة عليها.

فإذا لم يكن ثمت فى خبراتنا من نتائج تترتب على جملة معينة لم يكن لتلك الجملة معنى بل كانت لغوا فارغاً لا يدل على شىء وإن خيل إلينا غير ذلك [1].

لذلك أقول حينئذ أن الحقيقة صفة أو خاصية لبعض أفكارنا فهى تعنى اتفاقهما مع الواقع تماماً عن الصحة مثلما يعنى الباطل اختلافهما[2].

وهذا يعنى الجزء المحورى بالنسبة للبراجماتية هو استخدام ألفاظ متعددة الوجود توشك أن تفرغ من معانيها الأساسية لتلتبس بعض أثواب التوهمات أو على الأقل الشكوك الجدلية.

أما لماذا فلان الأفكار لا تعتبر حقيقة إلا إذا كان مصدرها النقل المنزل على أساس أنه كلام الله الإلهى المعصوم، وبالتالى فهو الحقيقة الثابتة؛ لأنه من عند الله جاء[3].

كما أن الكلام البرهانى اليقينى البديهى لا يقع فيه جدلاً؛ لأن حقيقته قائمة فيه، أما إدراك حدود علم الأشياء بحقائقها فهو علم العقل الخالص وما يمكن أن يسمى بصناعة الفلسفة، يقول أبو يعقوب الكندى[4]: [إن أعلى الصناعات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة الذى حدها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان؛ لأن غرض الفيلسوف، فى علمه إصابة الحق وفى

(١) د/ زكى نجيب محمود، حياة الفكر فى العالم الجديد،ص١٧٢، ١٧٣، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ.

(٢) وليم جيمس البراجماتية ص٣٥١.

(٣) قال تعالى: ﴿ **وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ سورة فصلت الآيتان ٤١، ٤٢.

(٤) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى، ورسائله الفلسفية القسم الأول ص٢٥، تحقيق أبو ريدة – ط ٢، ١٩٧٨م.

عمله العمل بالحق فى ذات الوقت فإن إنكار الحقيقة وتحويلها من واقعها الذاتى حتى تكون عرضا من الأعراض فيه قلب للمفاهيم؛ لأن العرض لا يقوم بذاته وإنما يقوم بغيره والحقيقة ثابتة فى ذاتها، ومن ثم فلا يصح أن تسمى صفة فيحكم لها على نوع من الأفكار.

(٤) نسبية الحقيقة:

يعتقد البراجماتيون أن كل حقيقة نسبية والدين هو الآخر نسبى؛ لأن مصدره وهو الكمال/ على القول به أمر نسبى/ فإذا كانت العلاقة بين الفكرة والموضوع منعقدة تماماً كانت الحقيقة كاملة ومع هذا تتسم بالنسبية نظراً لمن لم يقف عليها [١].

إن البراجماتية يطالبون أن تكون الحقيقة نسبية بحيث يطيحون بالمبادئ العامة ومنها الكمال والنقصان.

ويطيحون كذلك بمفهوم الحقيقة الثابتة اليقينية من حيث زعمهم نسبتها حتى ينتهى أمرهم على أن الدين كله مهما كانت حقائقه فلا يخرج عن الإطار النسبى بحيث يقبل الزيادة والنقصان الصواب والخطأ الصحة والفساد، وهذا من شأنه إنكار الدين بالكلية [٢].

فالحقيقة هى ما يجعلنا نسير فى: [الواقع وتشكيله وتغييره وفق مطالبنا وحاجتنا، ولذلك ارتبطت عندهم الحقيقة بالمنفعة فالحقيقى هو الدافع والمفيد فى طريقة التفكير وأصبحت الحقيقة بهذا الشكل فى صيرورة دائمة وتغير دائم مرتبط بتغير خبراتنا وحاجتنا] [٣].

ويؤكد على أن الحقيقى غير الحقيقة وأن الحقيقى هو وسيلة أما الحقيقة فعلاقة بين الفكرة المعروضة والموضوع الذى تتناوله.

---

(١) أندرية فيدر، الفلسفة والعلم ص١٧٧، ترجمة هناء رضوان ١٩٨٧م.

(٢) وليم جيمس البراجماتية ص٣٥١.

(٣) وليم جيمس، البراجماتية ترجمة محمد على العريان ص١٩٥، د/ هانى محمد رشاد نجيب، البراجماتية الأمريكية المعاصرة أصولها اليونانية ص٢٥، المكتبة المصرية ٢٠٠٦، وقد وضع وليم جيمس مذهبه وعرضه فى كتب عديدة أهمها البراجماتية، مقالات فى البراجماتية وإرادة الاعتقاد.

فإذا انتهى الأمر عند هذا الحد طالبوا بإلغاء الدين من الواقع وحذفه من المعرفة واستحداث بدائل عنه مما يرضى النزعة العملية البراجماتية.

والسؤال الآن ما هو معيار الصحة فى الأفكار المعروضة هل ستنطق الأفكار ذاتها بأنها صحيحة فيكون ذلك النطق منها بمثابة الشهادة الوثائقية لها مع أن الألفاظ أعراض سيالة تنقض بمجرد النطق بها لا شك أن الفكر البراجماتى قد غرق فى أمر ما كان له أن يغرق فيه [1].

ولا شك أن هذا الميل من البراجماتية عن صحة الأفكار والتعلق بالحقيقة يؤكد الواقع الجدلى الذى عاشوا فيه ولم يخرجوا عنه.

(٥) سلامة الهضم للفكرة:

حيث يعتقد البراجماتيون أن الأفكار الصحيحة هى التى يقبلها عقل الإنسان ويظل بها حتى يهضمها حينئذ يصفها بالمشروعية حتى يعززها ويوثقها ويقيم الدليل عليها [2].

وهى مفردات تبدو فيها الصنعة المتكلفة فتحمل معالم هدمها لأن حديثهما عن الحقيقة وليس عن الأفكار بالانتقال من الشىء الثابت وهو الحقيقة إلى غير الثابت وهو الأفكار [3].

---

(١) اللفظ ما يتلفظ به الإنسان بحيث يحسن الوقوف عليه ومايقع فى حكمه مستعملاً كان أو مهملاً، فالمستعمل مايفيد معنى يحسن السكوت عليه والمهمل مالا يفيد معنى يحسن السكوت عليه.

يقول ابن مالك باب الكلام:

كلامنا لفظ مفيد كأستقم ∴ واسم وفعل ثم حرف الكلم

ألفية ابن مالك باب الكلام بشرح الأشمونى، ط عيسى الحلبى.

(٢) وليم جيمس: البراجماتية ص٣٥٢.

(٣) الأفكار غير ثابتة لأنها تنتقل من الخطأ إلى الصواب ومن النقصان إلى الكمال والإنسان هو الذى يصنعها كفكرة ويتناولها كموضوع لمزيد من التفاصيل، ديكارت التأملات فى الفلسفة الأولى التأمل الخمس ص١٥٦، ترجمة د/ عثمان أمين ومقال عن المنهج ص٧٩، ٨٠، ترجمة د/ الخضيرى.

ثم ما الحال مع الأفكار الخاطئة إذا كنا لا نستطيع هضمها فكيف نحكم عليها والقاعدة المعرفية أن الحكم على الأشياء إنما هو فرع عن تصورها وما لم يتصور لا يحكم عليه، على أساس أن الإنسان قد خلقه الله وأودع فيه من فطرته ما يميز به بين الثواب والخطأ والصحيح والفاسد، ويمكن أن نسميه منطق الفطرة، كما أن قوانين المنطق تفرض هذا الإطار وأعنى به حصول أمر فى العقل من خلاله يتم الحكم به على شىء ما بالصدق أو بالكذب، يقول العلامة البغدادى: [إن الله تعالى قد جعل فى النفس اشتراك داخل العلوم الحكمية يقوم على: تحصيل كمال النفس الإنسانية للعقل وإعدادها لذلك للسعادة الأخروية والمنطق حصول صناعة وقانون محفوظ وحصول ملكة وتهذيب فطرة [١].

وبهذا يثبت البراجماتيون أنهم لم يكونوا واعين لما يجب أن يكون كما أنهم قد تناسوا قواعد عامة لها انضباط معرفى يتعلق بالدين وذلك مما أدى إلى تعبئة الشعوب العام بالعداء عليهم.

يقول فيدر: [إن الأفكار التى قال بها البراجماتيين يمكن العثور عليها فى الطريق العام، وهى تختلف تماماً عن الدين الذى مصدره الرهبان] [٢].

ولإن كان ما قاله فيدر قد عززه بأدلة من عنده فإن ما يعنينى هو قفز البراجماتية على الدين وإنكارهم له بناء على موقفهم من الألفاظ، وهذا مما يلغى الحكم على هؤلاء بأنهم أصحاب اتجاه عقلى منظم ويصفهم بأنهم خرجوا على أحكام العقل وهبطوا إلى ميدان الفلسفة.

(٦) الأفكار نفعاً وضرراً:

يعتقد البراجماتيون أن الدين يقوم على أفكار والأفكار يدور أمرها بين النافع والضار فإن كانت نافعة كان الدين صحيحاً وإن كانت فاسدة كان الدين خاطئاً، فمعيار صحة الدين أو فساده ليس هو وإنما ما يأتيه من خارج عنه [٣].

(١) أبو البركات هبة الله بن على بن ملك البغدادى، الكتاب المعتبر فى الحكم الإلهية جـ٣ص١٠، دار مكتبة دبليور جبل لبنان.

(٢) جورج فيدر: قولا فى البراجماتية ص٨٥، ٨٦، ترجمة عادل شوقى ١٩٨٧م.

(٣) راجع لجورج أندريه ويوسف برد، البراجماتية الفكرة والمحتوى ص٤٣، ترجمة صباح العربى، إلهام شوقى، ١٩٨١م.

وإذا كان الدين مجرد أفكار قابلة للصحة أو الخطأ عند هؤلاء فهل يمكن التسليم بوجوده فى أرض الواقع أم لا إنهم يقررون بأن الدين نسبى ووجوده شخصى على أرض الواقع هى الحاكم عليه وأرض الواقع بالنسبة لهم هى الأشخاص الذين يدرون تلك الأحكام ويرون أنها نافعة أو غير نافعة.

يقول فيدر: [إن الأفكار الصحيحة هى النافعة والنافع ليس شىء سوى أن يكون موافقاً للمطلوب فى سبيل التفكير تماماً كما أن الثواب ليس سوى الموافق النافع المطلوب فى سبيل مسلكنا] (١).

وأنوه إلى أن البراجماتية يتحدثون عن الدين الإنسانى حيث يكون الإنسان هو مصدر المعرفة والحاكم عليها، وهو مصدر الدين والحاكم عليه، وهو المعيار الأمثل، وهنا نرتد بالقضية إلى السوفسطائية الذين أنكروا كل الأشياء كما أنكروا الخالق العظيم جل وعلا فكرروا ثلاثة أفكار اعتقدوها مبادئ صحيحة لينتهوا إلى أن الإنسان الفرد هو الحاكم المطلق والمعيار الثابت لجميع الحقائق (٢).

إن الدين هو ما يصنعه الإنسان:

يذهب البراجماتيون إلى أن كل إنسان يصنع الدين الذى يختاره وبما يتناسب معه فإذا وقف الأمر عند هذا الحد فقد ظهر أن الدين إنسانى صاحبه يضيفه إليه أو يحذف منه يعدل فيه بالزيادة أو النقصان حرفاً أو إضافة، وبناء عليه قالوا أن الإنسان هو صانع الدين (٣).

---

(١) أندر فيدر الفلسفة والعلم ص١٨٥، ترجمة هناء رضوان.

(٢) دارت القضايا السوفسطائية على ثلاث مبادئ:
١- أنه لا شىء موجود خارج نطاق الإنسان.
٢- إذا وجد هذا الشىء الخارج عن نطاق الإنسان فلا يمكن معرفته.
٣- إذا عرف هذا الشىء فلا يمكن إيصاله للغير بطريقة أمانة أو صحيحة ومن ثم انتهوا إلى أن الإنسان هو حقيقة الحقائق ولا شىء سواه، راجع: د/ على صابر عبد البديع، د/ خيرى فوزى صاب، الفلسفة اليونانية ص٨٨، ٨٩، ط أولى ١٩٦٤م، والدكتور/ عوض الله حجازى، د/ محمد السيد تقيم تاريخ الفلسفة اليونانية ص٦٥، ٦٦.

(٣) راجع لعلى عبد الوهاب الفلسفة والفلاسفة ص٧٩.

إذا كان الإنسان هو الذى يصنع دينه فله أن يلتزم به أو يتخلى عنه والإله فى هذا الدين الإنسانى يعبر عن صورة ما بداخل ذات الفرد وليس يلازم أن يكون له وجود مستقل، إذ ما قيمة هذا الإله المتعالى عن الإنسان المتدين نفسه(١).

على أن الذى يلفت النظر هو وقوع البراجماتية فى أطر معرفية ومع تسليمهم بها إلا أنهم يعيدون النظر فيها.

الإطار الأول هو القول بوجود أفكار:

الإطار الثانى: هو القول بوجود حقائق نسبية.

الإطار الثالث: هو القول بأن الإنسان صانع الدين.

أما الإطار الأول: وهو القول بوجود أفكار:

فقد ترتب عليه اعترافهم بما هو غير مادى، مع أن قضيتهم الأصلية إنكار وجود غير المادى أم أنهم يعتقدون أن وجود الأفكار إنما هو وجود إطارى لغوى وحينئذ يرتد الأمر عليهم لأن كلامهم بهذا المعنى سيكون فى اللغة بينما حديثهم حول الفلسفة (٢).

كما أن الفكر ما هو إلا حركة للنفس الإنسانية داخل المعقولات الإطارية وليس هذه ولا تلك ذات صورة مادية لأن المعقولات عند المناطقة نوعان:

الأول: المعقولات الأولى، وهى الأنواع التى توجد لها أفراد فى الخارج كالإنسان فإن أفراده من ذكورة وأنوثة موجودة فى الخارج وسمى معقول أول لهذا الجانب(٣).

---

(١) راجع لادور شيفر، الفكر البراجماتى قديما وحديثاً ص١١٨، وراجع هانى رزق الفلسفة البراجماتية من منظور الآخر ١٨٧.

(٢) من الملاحظ أن الوجود المادى للأفكار من الناحية الدلالية المنطوقة هو الحروف والكلمات والمفردات اللغوية وهو الإطار المنطوق فقط ولا يمثل إلا جزء ضئيل من الفكرة.

(٣) يطلق عليه معقول أول لأن أفراده حسية، يمكن إدراكها بإحدى الحواس الخمس الظاهرة كالسمع.

الثانى: المعقولات الثانية، وهى التى تكون أفرادها أنواعاً وليست أفرادا كالحيوانية فإن أفرادها الإنسانية والمعازية والفرسية، وغيرها وسميت معقولات ثانية لقيامها على الأنواع الأولى من المعقولات [1].

مما سبق بيانه وقع التأكيد على أن الأفكار لها وجود غير مادى ويحكم عليها بالصحة، ويحكم عليها بغيره، ولا تكون صحيحة إلا كانت متطابقة مع الحقائق السابقة شرعاً وعرفاً وعقلاً.

وبناء عليه لا يكون صدق الأفكار بناء على ما فى عقول هؤلاء لموافقتها للحقيقة الشرعية والقضية البرهانية العقلية كما تصدقها الوقائع الشرعية الصحيحة لقيامها على ما سبق.

أما الإطار الثانى: وهو القول بالحقائق النسبية: ففيه قفز فوق طبيعة الحقائق إذ لا يعقل أن تكون الحقيقة صادقة فى وقت كاذبة فى وقت آخر من ذات الوقت لأن ذلك يناقض قوانين المنطق لما هو معروف من أن إثبات الشىء وعدمه فى ذات الوقت ومن ذات الجهة يعتبر مخالفة للضرورة العقلية[2].

وبالتالى فالدين حقيقة ثابتة وأحالته إلى النسبة يفيد أن هؤلاء القوم قد أخفقوا عن مسايرة الفطرة التى بنيت أن الدين صنعة إلهية وفطرة ربانية قال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ** ﴾ [3]، ويقول تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**[4]﴾.

أضف إلى ما سبق أن حقائق الدين لو كانت نسبية لما كان دينا إذ كيف يأمر الله الناس باعتقادات ثم يدفعهم إلى إهمالها حين يأمرهم تكون حقيقة مطلقة

---

(١) مصدر التعريفات ، مباحث الألفاظ .

(٢) الضرورة العقلية حاكمة بأن حقائق الأشياء ثابتة وما دامت ثابتة فإنها تكون مطلقة ولا تكون نسبية أبداً لأن النسبية من حيث المفهوم تبطل الحقيقة من ذات الجهة.

(٣) سورة الروم من الآية رقم ٤٣.

(٤) سورة الروم الآية رقم ٣٠.

وحين ينهاهم تكون النسبية ولا شك أن هذا ينسب لله البداء وينفى عنه العلم الكامل والقدرة التامة، وهذا إنكار لدين الله وتكذيب لوجوده جل علاه، بل وفيه إنكار لوجود الروح وحقيقة البعث بما يؤكد أن هؤلاء كانوا يتحدثون عن الدين الوضعى لا عن الدين الإلهى وإنهم شغلوا أنفسهم بقضاياهم التى حاربوها لتبقى أفكارهم الهزيلة على حساب القضايا الدينية الأصلية، ويدخلون فى نطاق قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾ (١).

ويصح فيهم وأمثالهم قول الله تعالى: ﴿ **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً**(٢)﴾.

أما الإطار الثالث: إن الإنسان صانع الدين:

فقد فاتهم أمر بديهى وهو أن الذى يصنع شىء لابد أن يسبقه وجوداً فمن الذى سبق الآخر هل الإنسان أم الدين، إن كان الدين قد سبق الإنسان فلا يعقل أن يكون الإنسان هو الذى يخضع الدين، وإذا كان الإنسان قد تأخر عن الدين فمن المؤكد أن هذا الإنسان يحب أن يصنع للدين، ورسول الله ﷺ أن الله صانع كل مصنوع وصنعته(٣).

ولا يخفى أن هذا الإطار النظرى تبطله الوقائع العملية التى دانوا لها بدليل أن التدين أمر فطرى من جهة وأن الدين الخالص لله رب العالمية سابق على الإنسان يقوم فى إطاره بضبط ما يصلح له من دنياه ويستقيم معه أمر أخرته، ولذا قرر أهل العلم أن الشريعة فيها مصالح العباد وأنها ما جاءت إلا لتحقيق ذات الجانب (٤).

---

(١) سورة فاطر من الآية رقم ٨.

(٢) سورة الطارق الآية رقم ١٧.

(٣) راجع للعلامة القاسمى، قواعد التوجيد ص٢١، ٢٢، ط أولى ١٣٨٦هـ.

(٤) من الشريعة أحكام تعقلية أدرك العقل بعض عللها ومنها تعبدية يؤمن الإنسان الواعى بها دون أن يفكر فيها ككون صلاة الصبح ركعتين والظهر أربع إلى باقى الصلوات الخمس فإنها أمور تعبدية.

وبناء عليه فإن ما ذهب إليه البراجماتيون من إنكار الحقائق المطلقة قد نتج عنه إنكار وجود أصل الدين وبالتالى صارت الألوهية عندهم فكرة تقبل الصواب والخطأ وليست عقيدة دينية، وهذا ما سوف ألمح إليه فى الفصل القادم إن شاء الله.

علاقة الفكر البراجماتى بالوقت الحاضر:

من الواضح لدى كل المتدينين أن الله تعالى واحد أحد، فرد صمد وأنه جل شأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولد وأنه تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيره أحد.

غير أن ما ذهب إليه البراجماتية أصحاب المذهب الذرائعى من اعتبار الألوهية فكرة معرفية قد ساعد فى ظهور العديد من الجماعات التخريبية ومنها:

أ- جماعة بوابة السماء [1]: يذهب هؤلاء إلى أن الكون قد نشأ من غير حاجة إلى خالق وأن هذا الكون يرتبط بفترة زمنية محددة انقضى الشطر الأكبر منها وما بقى إلا أيام قلائل، وقرروا أن الحياة قبل أن تنتهى بهم عليهم أن يسافروا منها إلى عالم أعلى وهو العالم السماوى[2].

وقد ترتب على ذلك افتقاد هؤلاء الجماعة زمام المبادئة فى الحياة السليمة وقبلوا بمحض اختيارهم أن ينهوا حياتهم بطريقة مسرحية مأسوية، وقد تناثرت الأنباء المتواترة حيث اهتمت جميع وسائل الإعلام وشبكات الانترنيت بآخر مآسى

(١) ظهرت تلك الجماعة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى ولاية كاليفورنيا وتكاثر أعدادها حتى وصلت إلى ثلاث مائة ألف وكانت اجتماعاتهم تتم بشكل سرى نظراً لشعورهم أن المجتمع سوف لا يقبل ما يعرضونه ولإحساسهم بأن ما يمارسونه قد لا توافق عليه السلطة السياسية فى المدينة.
راجع: لجورج أنطوان بيل: الجماعات المتطرفة فى أمريكا البداية والنهاية ص٧١، ترجمة د/ صابر زكريا طبعة ١٩٨٥م.

(٢) د/ جورج يوداس الاتجاهات المعاصرة فى الفكر الإنسانى ص٤٢، ٤٢، ترجمة صباح فوزى مراجعة أيمن الدمنهورى وراجع: راجى عنايت، جماعات وعقائد عجيبة ص٥، ط أولى دار الشروق ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

هذه الجماعات ففى السابع والعشرين من مارس ١٩٩٧م، تم العثور على جثث ٣٩ رجلاً وامرأة كل جثة مسجاة على فراش خاص، فى زى ووضع موحد.

وقد اكتشفوا أن رجل وزوجته كرستينا من أنصار هذا الاتجاه وقد خشى كل منهما أن تقضى الحياة وهما على وضعهما فقام كل منهما بتقييد نفسه على سرير فى غرفة متباعدة وابتلع كل منهما بعض الأقراص السامة بغية أن يتخلصا من الحياة قبل أن تتخلص منهما [١].

ولما كان كل منهما قد قرر الرحيل إلى بوابة السماء ولم يتركا أية بيانات تدل عليهما اعتقاداً منهما أنهما سوف يكونان فى عالم لا يحتاج فيه الإنسان إلى بياناته الشخصية[٢].

ولما هلك لم يعرف أحد عنهما شيئا حتى تعفنت الجثث لما أمكن الوصول إلى بقايا تلك الجثث عن طريق الشرطة التى فحصت الأجهزة التليفونية تبين أن الزوج قد أرسل رسالة بتلك المضمون إلى من يعرفونه يطالبهم بعدم الحزن عليه؛ لأنه قد سافر إلى حيث يعجزون، وهذا فى حد ذاته امتهان وتدمير لوجود الإنسان مما يعتبر أحد الآثار المترتبة على تصوير فكرة الألوهية والتنازل عن العقيدة الربانية.

ب- جماعات شهود يهوه[٣]:

وهؤلاء يعتقدون أن يهوه[٤] هو الممثل للسوبر مان، وهو فى ذات الوقت الإله فى صورته المتكاملة فهو جامع بين الإله الأسطورى الوارد ذكره فى أسطورة "براجاباتى"[١].

---

(١) راجع لجورج منير الإنسان الحياة نموذج مشترك ص٩٣، ٩٤، ترجمة د/ رمزى فخرى سنة ١٩٨٧م.

(٢) راجع: لأدمندفيشر: التوجهات الفكرية المعاصرة فى أمريكا القرن العشرين ص١١٣، ١١٤، ترجمة أيمن فوزى، راجى عنايت، جماعات وعقائد عجيبة، ص٥.

(٣) بدأ نشاط هذه الجماعة فى ولاية بنسلفانيا الأمريكية.

(٤) **يهوه:** هو أحد آلهة اليهود فهو الإله المسيطر فى سفرى التكوين والخروج من العهد القديم التوراة ينشر بنظام الله الجديد أو ملكوت الله، أى جنة على الأرض ترعاها حكومة الله.

اعتبر شهود يهوه أنفسهم حكام الأرض يريدون عمل ملكوت سماوى على الأرض كما اعتبروا أنفسهم مالكين لها ومن هنا لجأوا إلى الكثير من الشواطئ والمنازل والمقاهى والأندية العامة والطرقات يعرضون فيها تعاليمهما، وكونوا جماعات أطلقوا على أنفسهم جماعات شهود يهوه غايتهم من ذلك مطاردة كل من يؤمن بوجود إله واحد(٢) أو تخرج من شفتيه كلمة التوحيد.

ولا يخفى أن جماعة شهود يهوه ينكرون حقيقة وجود الله كما ينكرون كل اسم من أسماءه وتربطهم مع جماعات الشيطان رباطات كثيرة تدل كلها على أن هذه الجماعات الشيطانية مصدرها واحد وأن غايتها محددة وفى ذات الوقت نؤكد أن خطرها على الإنسان والإنسانية أمر لا مفر من الوقوع فيه إن تم إهمالهم أو لم تقف السلطات لهم.

كما أن شهود يهوه ظهرت لهم توجهات عديدة ترتبط بتقديس أعمال السحر والتمسك به فى ذات الوقت راحت أياديهم تمتد إلى وسائل النشر العالمية فنشروا آرائهم من خلالها وأطلقوا شعورهم وأطالوا أظافرهم واستخدموا ما تستخدمه جماعة عبدة الشيطان من ناحية المظهر (٣).

راجع: عاطف عبد الغنى، شهود يهوه مملكة إسرائيل على الأرض، دار الديوان سنة ٢٠٠١م، ص٧٨/٧٩.

(١) **براجاباتى:** أسطورة هندية قديمة يعتقد أصحابها بأن براجاباتى أحد الآلهة الذين نزلوا إلى عالم الأرض قبل أن يكون هناك أرض لا سماء، فهو رب الأحياء جميعاً فالعالم الأرضى مكون من جسمه أما البحار فهى رجع صدى لدمه وأما الهواء فكان من نفخات صدره أما السماء فقد بنيت من اتجاه أنظاره وهى فكرة خرافية وأسطورة لا قيمة لها.
راجع: ول ديورانت ص٣٢، جـ٣، المجلد الأول ترجمة د/ زكى نجيب محمود – الإدارة الثقافية سنة ٢٠٠٣، راجع: محمد غلاب: الفلسفة الإغريقية ص١٧٠

(٢) يرى الشهود يون أن المسيحية القديمة زائفة مشوهة فى جوهرها، وأنه وجماعته قد ائتمنوا على رسالة بريهوه وتتلخص معتقداتهم فى: =
=١- إنكار لاهوت المسيح.
٢- موت المسيح هو أبدى نهائى.

جـ – ظهور جماعة الخروج من الحياة [1]:

وقد ظهرت هذه الجماعة فى نهايات القرن العشرين وكان ذلك فى ولاية أوكلاهوما، وقد تعرف هؤلاء على الأفكار السوداوية التى نقلت عن البراجماتية وأحدثت تغيرا كبيراً بحيث تلحق النهاية بالعالم[2].

فإنهم يرون ضرورة أن تكون للإنسان رغبة فى إنهاء حياته وقت ما يريد وكان ريجان الرئيس الأمريكى الأسبق من أكثر الناس الذين يسعون إلى ممارسة ذلك حتى إنه أثناء رئاسته للولايات المتحدة الأمريكية أعرب أكثر من مرة عن رغبته فى أن يكرمه الله تعالى بالضغط على زر النووى فيفنى العالم كله بحركة من حركات أصابعه طالما أنه يملك ذلك [3].

٣- إنكار عقيدة الثالوث الأقدس. راجع: حسين عمر حمادة، شهود يهوه بين برج المراقبة الأمريكى، التلمود لليهودى ص٢٣، ٢٤ ، د/ عتيبة ٢٠٠٨، راجع: د/ معروف محسن طبان، الجماعات الأمريكية فى ثوبها السياسى ص١٣، راجع: عاطف عبد الغنى – شهود يهوه مملكة إسرائيل على الأرض ص٧٠، المرجع السابق.

(٣) راجع: د/ محمد سيد أحمد المسير – رحمه الله – عبادة الشياطين فى البيان الإنسانى حيث تناول ملف قضية عبدة الشيطان وطقوسه وما يتعلق به وناقشهم ورد عليهم ردوداً يمكنها أن تفيد فى واقعنا المعاصر.

(١) فى كتاب [آخر أعظم كره أرضية] للكاتب الأمريكى الأصولى هال لندس يرى أن على الأمريكيين أن يدمروا الكرة الأرضية، وأن يبيدوا كل ما لديهم من أشجار وأزهار وفنون وأدب بحيث لا يبقى شيء من الماضى، ولا يكون هناك غد على الأرض. راجع ساندر فوكر: المذاهب الفلسفية فى أمريكا الحديثة.

(٢) أصحاب النظرة التشاؤمية لا يختلفون كثيرا وهم فى جميع أحوالهم مرضى يحتاجون إلى العلاج قبل أن ينتشر أخبارهم السلبية وتفرض وجودها على الآخرين من الناحية التدميرية.

(٣) ما ذكره ريجان وغيره من الأمريكان يعبر عن خروج عن الواقع العملى وانقلاب عن القيم الأخلاقية بجانب رغبة ملحة فى العودة إلى الهمجية ومطاردة القيم العامة والأصول الثابتة. انظر: أ/ محمد السماك جريدة الأهرام ١٩٩٧/٤/٩م، تحت مقال بعنوان الأصوليون.

وإذا كانت الأصولية على هذا المعنى فإن أصحاب الانتحار الجماعى قد أخذوا كثيرا من أفكار جيمس جانب شارل سيبريس وغيرهما مما لا تعبر آراءهم عن قيم صحيحة ولا أفكار مستقيمة.

والمؤسف له أن البعض من أبناء جلدتنا الذين خرجوا للغرب فتعلموا هناك وأصابت عقولهم بعض تلك اللوسات جاءوا إلى بلدنا ومعهم نفس الأفكار يريدون فرضها على الناس ظنا منهم أن ذلك يمثل المصلحة ويساعد فى التقدم العلمى وما هو بشىء من ذلك.

(٤) كذلك نشأ عن البراجماتية أفكار الجدل العدمى والإلحاد العلمى.

والخروج على القواعد الشرعية وهذا من شأنه القضاء على الروابط الدينية فى النفوس ومقاومة الفطرة الإلهية داخل هذا الكائن الإنسانى، ولن يتمكنوا فى شىء من ذلك لأن الله تعالى فطر الناس على التوحيد الخالص كما خلقهم محبين للخير كارهين للشر فإن أطاعوه أدخلهم الجنة وإن خالفوه أدخلهم النار وما ذلك على الله بعزيز.

الفصل الثالث

موقفهم من ذات اللّه وصفاته

أولاً: ذات الله[١]:

يعتقد البراجماتيون أن وجود الله ليس ضرورة ملزمة لوجود الدين، بمعنى أنه يمكن وجود الدين ولا يوجد إله ظانين أن وجود الله لم تقم عليه أدلة مقنعة، كل ما يستطيع المتدينون تقديمه لا يقف أمام النقد العقلى. وبالتالى فالعقل لا يقر بوجود إله على ناحية بذاتها، يقول يورانس: [إن وجود الله لدى المتدينين أمر قائم ولكنه لدى العقليين[٢] يحتاج إلى مجهود كبير فى إثبات وجوده وما دام الأمر كذلك فإن وجود الإله يسير أمراً نسبياً][٣].

وما دام الإله فى البراجماتية ليس وجوده ضرورة فقد نظروا إلى الأدلة التى تم تداولها وطعنوا عليها بأنها وجه نظر لأصحابها.

ويذهب بيرس أن كل دليل يمكن إقامته للاستدلال على وجود الإله يحمل معه أدلة هدمه، وأن السبب الذى جعلنا نعتقد صحته ليس كونه صادقاً أو صحيحاً فى ذاته وإنما لأننا من داخلنا نجد رغبة قائمة فى صدورنا حتى لنعتقد فى وجود هذا الإله، وبالتالى فهذه الأدلة ليست حقيقة واقعية أو لها وجود، وإنما إرادتنا هى التى صنعتها وإذا شئنا أن نهدمها لم تكن مستعصية على الهدم [٤].

ونحن حينما نتحدث عن قضية وجود الله فى البراجماتية يهمنا أن نركز على أدلتهم فى هذا الإنكار ثم نناقشها ونبين وجوه القصور فيها على النحو التالى:

---

(١) لم يتحدث جيمس فى صلة الله بالعالم أعنى هل هو قديم أو حادث يكتفى بأن يقول أنه الخالق دون أن يحلل صفة الخالق، الشيخ كامل محمد محمد عويضة، وليم جيمس رائد المذهب البرغماتى ص١٦٢، دار الكتب العلمية.

(٢) ينبذ البراجماتيون البرهنة العقلية على وجود الله أو صفاته؛ حيث إنها لا قيمة لها ولا أثر لها على سلوك الإنسان، لذلك فإن وجود الله لا يخضع للإدراك المباشر بل يستدل على وجوده من أثاره المثارة فينا.

(٣) شافير يورانس، الدين والفلسفة فى الفكر البراجماتى ص١٨٣، ترجمة: ناهد صبرى ١٩٨٧م.

(٤) إدوارد هومر: الفلسفة الحديثة والمعاصرة ص١٨٧.

الدليل الأول: الدليل الانفعالى.

يقـول البراجمـاتيون: [إن الإلـه علـى فـرض وجـوده فلابـد أن يكـون شخصاً[1]، لـه قدرة على الانفعال بوجود العالم ويرتبط بـه ارتباط تجريبياً لا يحتاج إلى استدلالات قياسية ويستدل جيمس على الدليل الانفعالى بقصيدة هوتيمان[2].

وعنوانها إليك وينقل جيمس منها مقاطع ثم يقول: انظر إلى الوراء واستلق إلـى الـوراء علـى هيئـة كينونتـك الصـحيح هـذه هـى الطريقـة الشـهيرة المعروفـة بالاستجرادية، وفيها تعرف إن كان هناك إله[3].

ويعتقد البراجماتيون أن الإلـه الذى يقدمـه الـدليل الانفعـالى ذات مجسـدة على صوره المتعددة المتكثرة الملتحم بالعالم بحيث يكون العالم كله بما فيه الإله نفسه وحدة واحدة تؤكد اتحاد الإله بالعالم اتحاداً تاماً؛ بحيث لا يرى فى الكون إلا هذا الإله والعالم الانفعالى نفسه[4].

إذ ذات الله بنـاء علـى هـذا الـدليل تؤكـد أنـه ذات مجسـدة قابلـة لإضـافة وحذف وتجرى علـى تلك الـذات مـا يجرى علـى بـاقى المجسـدات وهـو اتجـاه قـد

(١) الشخص عندهم هو المحدود بحدود جسمية ذات أطراف جسدية ذات أبعاد اعتقاداً منهم أن الصورة التى فى الذهن عن الإله لا تخرج عن هذا الاحتمال.
دفع جيمس إلى وصف الله بالشخصية أنه اعتقد أن الله والإنسان من طبيعة واحدة، وأن الاختلاف فى الدرجة فحسب، وفكرة الشخصية عند جيمس مأخوذة عن جون ستوارت مل فإنه يصف الله بهذه الصفة، محمود زيدان، وليم جيمس ص١٧٨.

(٢) هذه القصيدة كتبها أحدهم وهو يحكى قصة الإله من ناحية النظر العقلى التجريبى ويعتبرها خرافة لدى المتدينين فقط.

(٣) وليم جيمس البرجماتية ص٣١٢، ٣١٤، ويعلق المترجم على لفظ الاستجرادية مؤكداً أنه مذهب دينى محصلته تجريد النفس من المادة وتوجيهها إلى الله فى حالة وجوده/ هامش ص٣٢٢.

(٤) هذا الإله بتلك الصورة ذاته هى ذات العالم وهذا يحلنا إلى الفكر الجينى؛ حيث يعتقد أصحابه أن العالم نشأ من جسم الله وإن كل ما فى العالم إنما هو جزء من الله على سبيل الحقيقة وعرفت تلك بأسطورة ادراى نكس، ومعناها الإله المتحد. راجع قصة الحضارة وبل ديورانت المجلد ٧، ١٤/٣١٥.

رفضه العقل الصحيح والفطرة السليمة فالله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾.

يقول جيمس أن التعبير الجميل عن الإيمان الشخصى هو الذى يبعث فى قلب السامع الدفىء ولكن إلى حد يجلو فكره الفلسفى وتلك مشكلة كبرى لا يقدم لها الإيمان بالله المجرد حلاً وإنما يقدم لها الإيمان بالله المتجسد العديد من الحلول(١).

ولا يخفى أن وجود الإله بالمعنى البراجماتى العملى النفعى لا يقدم هو الآخر أدنى صورة نفعية بل يكون الأمر على العكس من ذلك تماماً بدليل أن ما يتعلق بالقول الانفعالى يهدم نظرية الكون الثابت ويجئ على نظرية الكون المتحرك(٢).

وبناء عليه يقضى البراجماتيون على الإله الذى تخيلوه وتبقى ذات الله تعالى بعيدة عن هذا القصور المعرفى والاختلال العقدى.

قد يبدو للبعض أن الدليل الانفعالى الذى قال به البراجماتية صورة من صور الفيض التى قال بها اليونان الأقدمون وانتهوا إلى أن العالم فاضى عن الله فيضان انفعالى(٣).

ومما يحكم به العلم أن صورة دليل الفيض تهدم مواده الأساسية؛ لأن الفيض الانفعالى لا إمكان فيه للقصد والإرادة ولا مجال فيه للحديث حول العلم المحيط الشامل وذلكم ما يؤكد فساد هذه الأقوال وكأنهم ممن دخلوا فى قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي**

(١) راجع لشفير يورنس الدين والفلسفة ص١٨٧، ووليم جيمس البرجماتية ص٣٣١.

(٢) نظرية الكون الثابت تقوم على أن مقدار الطاقة فى الكون الثابت وإن هذا الثبات غير قابل للزيادة أو النقصان بينما نظرية التغير تقوم على أنه لا يوجد شيء ثابت فى الكون وإنما كله متحرك.

(٣) راجع للدكتور/ فوزى حسن صبرة، تاريخ الفلسفة اليونانية ص٧١، ٧٢، وراجع د/ محمد غلاب مشكلة الألوهية أثناء حديثه عن نظرية الفيض والصدور فى الفكر اليونانى وراجع د/ محمد البهى، الجانب الإلهى عند عرضه لهذه النظرية حيث يبين كلا منهما فسادها وأوجه القصور فيها.

مَنْ يَشَاءُ﴾ [1]. كما لا يفى أن هذا الدليل ليس براجماتى بذاته، إنما هو صورة لفكر يونانى البست الألفاظ البراجماتية فصارت دليلاً صورته يونانية ومادته براجماتية.

ونتائجه لا تقوم على وجه صحيح؛ لأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أكدت على أن ذات الله تعالى ليس لها مثيل وأن صفاته العظيمة ليس لها مقابل وأنه تعالى تفرد بالجلال والجمال والكمال والإكرام، وأن صفات الذات لا يقع لأحد من خلق الله فيها اشتراك معه ولو فى الاسم.

يقول العلامة الجرجانى: [اعلم أن الصفات على ضربين صفات الذات وصفات الأفعال والفرق بينهما أن كل ما يوصف به الله ولا يجوز أن يوصف بضده فهو من صفات ذاتية نحو الوجود والعدم والقدرة والعلم والحياة وكل ما يجوز أن يوصف به وبضده فهو من صفات الأفعال نحو الرحمة والشفاعة الغضب] [2].

ومن ثم فإن ما ذهب إليه هؤلاء من حذف ذات البارى جل وعلا من نطاقهم المعرفى يؤكد قصورهم وأنهم لم يكونوا على وفاق مع أنفسهم بل أنهم خالفوا القواعد الأساسية المعمول بها فى الدراسات العلمية والمنهج العلمى الذى يدعونه ليكونوا هم أول من خالفه أو على الأقل أطاح به بعيداً عن أصوله العلمية.

الدليل الثانى: الخلاص الممكن:

ومعناه أن العالم بكل أجزاءه وكافة عناصره يرفض البقاء فى وضع ثابت غير مفيد وبالتالى فكل ما فى العناصر والأجزاء المادية توجد من داخله رغبه تطلعية، هذه الرغبة هى ذات الله الكامنة فى أجزاء الكون [3].

---

(١) سورة فاطر الآية ٨.

(٢) راجع السيد الشريف الجرجانى، حاشية الجرجانى على مطالع الأنظار للأصفهانى على طوالع الأنوار للبيضاوى ص٩ – ط دار سعادة سنة ١٣٠٥هـ.

(٣) انطوان ايفر الفلسفة الواقعية ص٥٣، ترجمة زاهر خيرى ١٩٩٧م، وراجع لجوركى بيتر البرجوازيون الصغار ص٤٣، ٤٤ – ط ١٩٣١م مطبوعات دار الغد الجديد.

فذات الله إنما هى القوة الكامنة فى أجزاء ذات العالم ومن ثم يمكن القول بأن دليل الخلاص هذا يكمن فى ضمائر الناس اللذين يصرون على أن العالم يجب أن ينال الخلاص [١].

لكن ما المراد بالخلاص البراجماتى على المعنى الاصطلاحى؟ هنا تأتى الإجابة فيما عرضه شفير؛ حيث يقول: [إن الخلاص البراجماتى مرحلة وسط بين وجود وعدم وبقاء العالم فى هذه المنطقة الخلاصية هى دليل على وجود ذات الإله][٢].

والملاحظ أن فكرة الخلاص هذه ترجح وجود ذات الله وأنه مستقل عن هذا العالم وليس جزء منه، وأنه الذى رجح وجوده على عدمه ويعرف هذا الدليل لدى المتكلمين باسم دليل إمكان[٣] الجواهر او دليل الممكن.

ويبدو لى أن هذا القصور ليس خالياً من أوجه الطعن عليه فالعدميون يرفوضونه نظراً لاعتقادهم أن كل شىء قائم فى العدم[٤].

كما يرفضه الوجوديون الذين يرفضون العدم أصلاً ويعتقدون أن الوجود هو الموجود ويوافقهم فى هذا الاتجاه الطبيعيون اللذين جادلهم ابن سينا جدالا طويلاً وأثبت فساد أقوالهم[٥].

---

(١) الخلاص الذى يتحدثون عنه له معنى يقوم بالتوازى مع الله فى ضمير الفرد الإنسانى وبالتالى فهم ملزمون بوجود إلهين أحدهما كامن فى أجزاء العالم والثانى مستقراً فى ضمائر الناس.

(٢) شافير يورانس، الدين والفلسفة ص١٩١.

(٣) وهو أن العالم ممكن؛ لأنه مركب وكثير، وكل ممكن فله علة مؤثرة، عضد الدين الإيجى: المواقف فى علم الكلام، الموقف الخامس ص٢٦٦، عالم الكتب – بيروت – بدون تاريخ.

(٤) راجع د/ على عبد الكريم صابر، الفلسفة الوجودية من وجه نظر وجودى، ص٣١، ٣٢ – ط أولى ١٩٧٥م.

(٥) راجع الإشارات والتنبيهات القسم الثالث فى الوجود وعلله، ابن سينا، تحقيق د/ سليمان دنيا – ط دار المعارف.

يعتقد أورانس أن هذا الدليل يخالف فكرة الواجب لقيامه على فرضية الإمكان وتفسير وجود الله على أساس أى منهما فيه مخالفة منطقة براجماتية؛ لأنها من الناحية العملية الفائدية لا تقدم نفعاً [1].

ويبدو لى أن المنطقة الخلاصية التى يتحدثون عنها هى فى ذاتها فكرة الحال التى قال بها البعض ولكن توظيفها هو المختلف بينها جميعاً وفكرة الحال هى الواسطة بين الوجود والعدم ومعها فإن القائلين بها فى التراث الإسلامى قد يستطيعون الدفاع عنها إلا إذا تم إرجاعها إلى معانى تتعلق بعقيدة البرزخ وهو الوجود الوسط بين عالم الدنيا والآخرة[2].

وهم قد أخطأوا طريق الوصول إليها كما لم يتمكنوا للتوظيف العلمى لها؛ لأن نظرية المثل المعلقة فى الفكر الإسلامى فوقية تبدأ من الأعلى؛ حيث الفيض الربانى والنور الإلهى وتنتهى إلى ما يشبه المعارف اللادنية[3].

كما أنها تخالف المبدأ العملى بالنسبة لهم حيث يقوم الفكر والإله والعالم لديه على قاعدة نفعية مادية يمكن التعامل معها من تلك الناحية.

وفى تقديرى أن هذا الخلط بين القواعد المعمول بها مرجعه إلى نشأة هؤلاء المتدنية بكل ما فيها من قصور معرفى وانعدام التوافق النفسى.

---

(١) فكرة الفائدة أو المنفعة تسيطر تماماً على روؤس البراجماتية بدليل أنهم متى خرجوا عنها سارعوا بالرجوع إليها.

(٢) الكثيرون من المفكرين عندما يتعرضون لهذا الجانب إنما يعولون على نظرية المثل المعلقة فى الفكر الإسلامى ومن أكثر الذين نبهوا إليها لعلامة السهروردى فى كتابه مصنفان ٣٨٢/١.

(٣) وهى غير فكرة المثل المعقولة، أو العقلية التى قال بها أفلاطون ومن جاء بعده وقد ترجمها إلى العربية وعلق عليها د/ عبد الرحمن بدوى وهى غير التى ذهب إليها مفكرى المسلمين من كل ناحية.

الدليل الثالث: خضوع عالم الظواهر للنسبى:

يعتقد البراجماتيون أن عالم الظواهر الكونية مطلق من حيث هو ونسبى من حيث التأثيرات المرتبطة به. وكلما كان متعقل مثل العالم على نحو كامل وإذا لم يكن متعقل لم يكن له وجود، وبالتالى فالله فكرة يصح أن يكون متعقلة فيصير موجود ويصح أن لا تكون متعقلة فيكون معدوماً.

يقول جيمس: [إن العالم الوحيد المتعلق على نحو كامل سيكون عالم التخاطر حيث ستحقق كل رغبة بدون الاضطرار إلى إعتبار أو تسكين وإخماد القوى المحيطة أو القوى التداخلية](١).

وهذا الدليل يشترك فيه الإنسان مع الله عن طريق اتحاد الله بالإنسان فى ضميره يستوى فى ذلك الإنسان البوذى والهندوسى، ويمكن أن يعرف باسم الأحدية الدينية وهى تقوم على: «أن كل شىء موجود إنما هو مطلوب وضرورى الكل واحد فالله ومع الله وبالله طالما أن الإله جوهر متحيز عنصرى» (٢).

يقول وليم جيمس: [إن الأسلحة الدائمة الخالدة قائمة من تحت يد الإنسان سواء أكانت تبدو فى عالم الظواهر الفانية المتناهية فشلاً أم نجاحاً وبالتالى فهذا الدليل يمثل العلاقة المشتركة بين الله والإنسان](٣).

ومن ثم فإن الإنسان صار شريك لله أو صانعاً له فى الفكر البراجماتى، وهذا مما يؤكد أن الإله لديهم فكرة أسطورية وليس عقيدة إيمانية قلبية.

ويرى شيفر أن فكرة عالم الظواهر الكونية غير متحصلة لدى البراجماتى إلا من الناحية العملية ويطلق عليها فكرة الكنه غير المتحصل ومفادها أنهم عزلوا

---

(١) وليم جيمس البراجماتية ص٣٣٦، ويعرف هذا الدليل أحياناً باسم التأثير الكنى الذى ينتهى الأمر فيه إلى وحدة الوجود على الناحية الفلسفية.

(٢) هذه الفكرة رددها فلاسفة الفكر الجينى وما زالوا يعتقدونها، راجع: ول. د يورنت. قصة الحضارة ٤/٢ ص٢٦٦، محمد حسين موسى محمد الغزالى الجينية عقائدها وفلسفتها ص١٥١ – ط أولى سنة ١٩٠٧م.

(٣) راجع د/ عبد المنعم محمود خليل، الفكر البراجماتى والمعتقدات الدينية ص٤٣، ٤٤، وليم جيمس: البراجماتية ص٣٣٧.

الإله عن الوجود كما عزلوه عن التأثير الخالص حينما جعلوا الإنسان مشارك له فى هذا التأثير بل ومتقدم عليه فيه[1].

وإذا كان الإنسان قد عزل الإله عن التأثير الخالص كما يرى البراجماتية فكيف دليل الكنه هو ذاته من أدلة وجود الإله إن هذا يدلنا على وجود جملة من الأفكار غير المنظمة نمت فى عقول هؤلاء ثم أفرزت النتائج التى يرددونها دون نظر إلى الواقع الذى يستندون إليه وقضايا العلم التى يزعمون قيامهم عليها.

الدليل الرابع: الدليل الترابطى:

ومعناه أن العالم يبدو بين جزئياته فكرة الترابطية بحيث يرتبط داخل جزئيات العالم من الناحية الحقيقة الواقعية، ويمكن أن يعتبر هذا الدليل هو ذات الله نفسه [2].

وهذا الدليل يؤكد النسبية القائمة فى كل جزئية من جزئيات هذا العالم بما فيه من الهوى والميل الشخصى بجانب الثقافة الخاصة والأحكام المسبقة التى نصبت كلها فى إطار واحد يمكن أن نطلق عليه اسم الدليل الاهتمامى.

ويذهب هومر إلى أن الذى ينظر فى الكون يرى أننا جميعاً جزء منه ثم يتأمل فى جملة الوقائع المتناثرة يجد فيها نوع من التناغم المتألف الذى يسير فى اتجاه واحد وبالتالى نجد أنفسنا مع الميل إلى التسليم بأن هذا النظام فيه كمال اهتمامى[3].

(١) ادوارد شيفر: الدين والفلسفة والمذهب البراجماتى ٥٣/٥٤، هناء رشدى ١٩٨٧م.

(٢) فمن ذهب إلى هذا الاتجاه وليم جيمس فى البراجماتية ص٣٣٦، وهومر فى كتابه الفلسفة البرجماتية ص١٨٣، ١٨٤، ترجمة حنان فوزى ١٩٨٣م، ونقله باردفيشر فى كتابه الفلسفة فى القرن العشرين ص١٤١.

(٣) ادور هومر الفلسفة الحديثة والمعاصرة ص١٥٤، ترجمة صابر خيرى والفلسفة البراجماتية ص١٨٥، ترجمة حنان فوزى.

وإذا كان ما يجرى فى جزئيات العالم على هذا النحو فيمكن لنا القول بوجود شىء ثابت يحكم هذا النظام ويدفعنا إلى التسليم بوجود إله هو هذا الاهتمام القائم [١].

على الطرف المقابل يرى البراجماتيون وجود وقائع بعيدة تماماً عن أى صورة من صور الكمال ولا توجد بينها أدنى علاقة للإتقان وإنما فيها الفوضى والقلق والتلقائية والعشوائية والعبث مما يؤكد أن فكرة الرابط الاهتمامى ان بدت قوية فى بعض الظواهر فإنا ما تلبث أن تتهاوى فى كثير غيرها، وبالتالى فالإله الاهتمامى إله ناقص[٢].

يقول بيرس: [إن كل دليل يمكن إقامته على وجود الله المستقل يحمل فى نفس الوقت معول هدمه والذى يجعلنا متأكدين من ذلك هو الواقع الذى نعيشه ولو أننا أخلينا ضمائرنا من فكرة الاعتقاد بوجود إله فإن الأمر يكون سواء وبالتالى فأردتنا هى التى تصنع هذا الإله وهى التى توجده وهى التى تملك هدمه فى ذات الوقت] [٣].

من الواضح أن الدليل الاهتمامى الذى زعموه معبراً عن الإله من حيث ذاته هم أنفسهم الذين تخلوا عنه حتى انتهوا إلى القول بالعبث والفوضى والاضطراب وهذا يؤكد أن الإله لدى البراجماتية إله صنعه صاحبه يمكن له أن يتخلى عنه وقت ما يشاء وذلك مما يذكر بعباد الأصنام الذين كانوا يصنعون آلهة يعبدونها حين من الزمان فإذا أرادوا استبدالها بدلوها؛ لأنهم الذين صنعوها ويمكن لهم صناعة غيرها على فترات طويلة [٤].

---

(١) راجع لباردفيشر الفلسفة فى القرن العشرين ص١٥٨.

(٢) من الواضح أنهم فى كل ما يتحدثون عن الإله يتعرضون للإله الفكرة وليس للإله العقيدة وبالتالى يأتيهم القصور من كل ناحية كما يصابون بالعجز من جميع الجهات.

(٣) راجع لادور هومر الفلسفة البراجماتية ص١٨٤، وراجع: لباردفيشر الفلسفة فى القرن العشرين ص١٥٣، ترجمة عبد العظيم حسان – ط أولى ١٩٧٠م.

(٤) راجع للعلامة هشام ابن السايب الكلبى/ الأصنام ص١٨٧، ١٨٨، حيث ذكر نماذج عديدة لتلك الآلهة الصناعية التى صنعها أصحابها فإذا كانت مما يؤكل وجاعوا أكلوه وإذا كانت مما يلهى به بعد عبادته بين الصبية وضعوه.

وعلى ما يبدو على هذا الدليل الاهتمامى اعتبره البراجماتيون مظهر وجود الله وهو اتجاه قد يبدو نفعيا إذا تم التعامل معه على ظاهرة لكنه فى الحقيقة إقرار منهم من حيث لا يدرون بوجود هذا الإله، لأن دليل الاهتمام يمكن أن يكون يشبه فى غايته لدليل الغاية لدى الفلاسفة الذى يقوم على أن كل شىء فى الكون يمضى لغاية جزئية كانت أم كلية وترتبط تلك الغايات بالحكمة الإلهية ارتباط وثيق وبالتالى يكون هؤلاء قد اعترفوا بوجود الله المنزه دون أن تكون لهم رغبة فى هذا الاعتراف(١).

وانتهى إلى القول بأن البراجماتية رغم أنهم أتيحت لهم الفرص العديدة لمراجعة أفكارهم والوصول إلى نتائج صحيحة لكنهم لم يستغلوا ذلك الاستغلال الأمثل وإنما نكثوا على أعقابهم واتبع كل منهم هواه فوقع فى نطاق قوله تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾** (٢).

الدليل الخامس: الدليل النفعى:

ومعناه أن كل ما يجرى فى الكون يحقق منفعة وكلما كانت المنافع قائمة فإنها تكون دليلاً على وجود الله بذاتها وكلما انتفت المنافع أو تلاشت لم يكن لهذا الإله وجود فالآلهة هو المنافع القائمة والفوائد المترتبة(٣).

وبالتالى فالدليل النفعى هو الله والله هو الدليل النفعى كائن كل منهما يحل محل الآخر وهنا يأتى تسأل ماذا تقول البراجماتية فى العديد من الظواهر

(١) ممن توسع فى الدليل الغائى وغيره من الأدلة العلامة ابن رشد فى كتابه مناهج الأدلة فى الكشف عن قواعد أهل الملة وكتابه فصل المقال فيما بين الحكمة الشريعة من الاتصال حيث تبين جملة الأدلة على ناحية لفضيلته. جاءت لها نتائج إيجابية، وراجع له نظرية الخلق المستمر حيث عرضتها الدكتور/ زينب محمود الخضيرى عرض متميز فى كتابها أثر ابن رشد فى فلسفة العصور الوسطى ص٢٢٧ إلى ٢٤١ – ط مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٨١م.

(٢) سورة الجاثية آية ٢٣.

(٣) راجع لإدوارد هومر، الفلسفة البراجماتية ص١٧١، ١٧٢، ولجيمس باردفيشر، فلسفة القرن العشرين ص١٦١.

الذى لا تقدم نفعا وإنما تقدم تدمير وتخريب وبدل أن تتحقق السعادة فإنها تجعل الناس يعيشون فى صور من التشتت ومن البؤس كالزلازل والبراكين حيث تدمر الأولى مدن بأكملها وربما أطاحت بها وطوتها فى دوائر النسيان. فكم من أسر شردت وبيوت خربت وزراعات دمرت وشبان كانوا ينتظرون السعادة، ثم جاءت نوبات الزلازل فلم تعطهم فرصة الهرب وإنما اندكوا فى باطن الأرض فيقول شفر: [فأى منفعة تلك التى دبرها الإله][1].

وكذلك البراكين تفاجئ الجميع بحممها البركانية المندفعة التى لا تفرق بين الكبير والصغير الصحيح ولسقيم ونيرانها التى ترسلها فتجعل الأخضر نار فأى فائدة ومنفعة حتى نعترف بوجود إله[2].

إن المتأهل فيما يعرض البراجماتية من أدلة يعتبرونها بدائل عن الله أو مظهر إلهى يقرر أنها أفكار ناقصة وأن الإله الذى يدور فيها قد صنعه خيال أصحابها، وهو بعيد تماماً عن عقيدة الألوهية التى جاء بها رسل الله إلى خلقه أجمعين وعبرت عنها النصوص القرآنية من مثل قوله تعالى: ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [3].

(١) راجع: لإدوارد الدين والفلسفة والمذاهب البراجماتى ص٦٤، وراجع لوليم جيمس البراجماتية ص٣٨٧، وما بعدها.

(٢) راجع لإدوارد هومر: الفلسفة الحديثة والمعاصرة ص١٩٤.

(٣) الآية رقم ١٦٣ من سورة البقرة.

ثانياً: صفات الإله:

يقف البراجماتيون من صفات الإله موقفاً لا يبتعد كثيراً عن موقفهم من ذات الله وهو قيام الصفات الإلهية فى القاعدة النفعية فإذا لم تكن هذه الصفات الإلهية ذات نفع فإنها لا يعتد بها.

يقول وليم جيمس: [إن الإله يجب أن تكون له صفات وهذه الصفات يجب أيضاً أن تكون ذات نفع مادى] [١].

فالمبدأ البراجماتى فى صفات الله يرى أنها تخلو من أى دلالة معقولة، رغم أنه يعترف بأن لها قوتها المنطقية، والمقصود بالدلالة هنا الأثر العملى الذى ينطبع فى سلوك الفرد من وراء اعتقاده لصفة أو بالأخرى. فإنه صفه من الصفات الإلهية مثل الوجود بالذات أو الكمال أو اللانهاية أو اللامادية لا تحدث خلافاً فى سلوك الفرد نحو الله أو نحو الحياة العملية إذا كنت معتقداً بالله، فإنى سأسلك فى الحياة بنحو يطابق اعتقادى علمت أنه روح أو فعل ليس لهذه الصفات من أثر فى حياتنا حتى لو كنا معتقدين بوجود الله[٢].

وقاعدتهم التى يعولون عليها ثلاثية الأبعاد هى: المنفعة والفائدة والواقع العملى. فإذا وصف الإله بأى صفة افتقدت ركنا من هذه الثلاثية لم يعتبروها وهم لذلك قسموا الصفات الإلهية إلى أقسام ثلاثة: اسقاطية، واعتبارية، واستباقية.

الصفات الاسقاطية: هى التى لا تقدم نفعاً وبالتالى يكون إسقاطها هو النفع ذاته كصفة الوجود والوحدانية[٣].

سواء أكان الإله موجود أو غير موجود وسوءا أكان واحد أو غير واحد فإن هذا لا يقدم نفعاً وبالتالى يجب إسقاط تلك الصفات.

يذهب بيراس فى ذلك:

---

(١) وليم جيمس البراجماتية ص١٩٧، وراجع لهولمن الفلسفة والعمل من منظور براجماتى ص١٢٥.

(٢) د./ محمود زيدان/ وليم جيمس ص١٤٧.

(٣) راجع لشيفر، الدين والفلسفة والمذهب البراجماتى ص٨٤.

سواء اعتقدنا بوجود هذه الصفة أم لم نعتقد بها فإن ذلك لا يغير أبداً فى سلوكنا ولا يغير منه لأن البراجماتى لا يعنيه كون الإله موصوفاً بصفة أو بغيرها، إنما يعنيه المقدار الذى يقدمه اعتقاده فيها من نفع أو فائدة؛ وحيث لا نفع ولا فائدة فإن عملية الإسقاط لها تكون حقيقة براجماتية واستبعادها من اعتقاداتنا يكون هو الآخر حقيقة أعظم من سابقتها(١).

أما الصفات الاعتبارية: فهى المتعلقة بفكرة الجوهر وسواء أكان الإله متصفا بأنه جوهر مادى أو غير مادى،جوهر حال أو غير حال جوهر واحد أو متعدد، فإن المسألة سواء بمعنى أن البراجماتى ينظر إليها من منظور تاريخى ليس إلا.

يقول بيرس: [لقد اشتغل الناس فى الماضى بالإله الموجود والإله الواحد ثم اختلفوا ولم يقدم واحد منهم فى كل ما قال نفعاً والأولى أن تبقى هذه المفردات فى إطارها اللغوى](٢).

ومن ثم فكل الصفات الاعتبارية تكون لدى البراجماتية مجرد ألفاظ لا قيمة لها.

الصفات الاستبقائية: وهى القائمة فى السلوك الإنسانى باعتبار الفرد والجماعة فإذا تحقق من ورائها نفع مادى أمكن القول بالحاجة إلى أن تبقى وإذا لم يتحقق هذا النفع فمن الأولى التخلى عنه.

فيذهبون إلى القول: [أن الصفات الإلهية نصنعها نحن كما صنعنا ذات الإله وإذا كان الآخرون يسرحون بأن الإله قد مات وتم تكفينه وقبره(٣) فإن فكرة وجود إله تصبح عديمة الجدوى بالنسبة لهم، ونحن نقول من حقنا أن نضع الإله

(١) شافير يورانس: الدين والفلسفة ص١٩٢.
(٢) راجع لأدور هومر، الفلسفة البرجماتية ص١٩١، ١٩٢.
(٣) هذا القول يردده الشيوعيون كثيرا وتجرى مفرداته لدى من يقلدونهم وبخاصة البراجماتية بجانب العديد من أصحاب الفكر الأوربى فى الوقت الحاضر ويعتبر نيتشه من أكثرهم قولاً لتلك المقولات الكاذبة.

الذى نريد فى الموضع الذى نحب وفى ذات الوقت يمكننا أن نعترف بوجوده أو لا نعترف ما دام المذهب البراجماتى يؤدى دوره فى الحياة على ناحية عملية(١).

ولما كان الإله يصنعه البراجماتيون بأنفسهم فلم يبعد منهم اعتبار أنفسهم آلهة وبالتالى يصفون الإله الذى يقترحونه بالصفات الآتية(٢):

الصفة الأولى: العلم:

ومعناها أن العلم هو الذى يميز الإنسان فى وعيه عن الإنسان فى اللاوعى وهذا الإنسان العالم مهما حاول الاختباء فإن معارفه تكشفه وبناء عليه قالوا: إن الإنسان هو العالم والإنسان هو الخالق والإنسان هو حقيقة الحقائق(٣).

لكن هذا العلم الإنسانى الذى اعتبر الإنسان هو معياره هل هو علم نسبى تحصيلى أو علم وعظى؟ وهل هو علم نظرى أو تجريبى؟ وهل هو نسبى أو مطلق؟ إن الباحث فى البراجماتية لا يجد إجابة محددة على أسئلته وهو ما يؤكد قيام البراجماتية على أفكار غير واضحة المعالم.

ومن الأدلة على ذلك ما فعله السوفسطائيون قديماً حين ذكروا أن الإنسان هو حقيقة الحقائق وركزوا على إنكار المعرفة الكلية وأكدوا على المعرفة الحسية حتى انتهوا إلى أن الإنسان الفرد هو معيار الحقيقة من خلاله تثبت ومن خلاله تنفى وردوا مقولات انتهت من الآخرين إلى الرفض والتركيز على عدم جدواها من الناحية البحثية.

---

(١) راجع لجورج هولمن، الفلسفة والعمل من منظور براجماتى ص٢١١.

(٢) يذهب جيمس إلى أن إضافة صفة القداسة لله تجعلنى اعتقد أن الله لا يريد إلا الخير ولإضافة العلم الكامل لله أثر على سلوكى؛ لأنها ستجعلنى اعتقد أنه رؤية أفعالى فى الظلام وتصور العدل الإلهى يؤثر على سلوكى؛ حيث إنه تعالى أمر محتم حين يرى منى عصيان وحب الله العباد يحملنى على الاعتقاد بأنه ميال للغفران وقبوله التوبة ونحو ذلك إن جيمس رغم ذلك لا يقدر قيمة تلك الصفات الخلقية فى السلوك الدينى للأفراد ثم إن هذه الصفات ليست بذات أثر فعال على كل الناس لأن الوجدان لا الذهن هو الذى يقرر العقيدة الدينية أو الخلقية فالصفات طبقاً للمبدأ البراجماتى أنها تخلو من أى دلالة عقلية، د/ محمود زيدان، وليم جيمس ص١٤٦، ١٤٧.

(٣) راجع لوليم شيراتس، البراجماتية والمنظور العقلى ١٥٧، ترجمة هناء فوزى ١٩٦٤م.

ويبدو أن البراجماتية حينما اختاروا إله سمحوا لأنفسهم أن يصفوه بما شاءوا فلما رأوا أن العلم من الصفات الأساسية وصفوه به ثم فرغوها من هذا المحتوى التأثيرى حين ربطوها بالفائدة العملية.

لقد كان وليم جيمس واضحاً حين قال: يجب أن تكون صفة العلم التى ننسبها إلى الله قابلة للحكم عليها صدقاً أو كذباً ثواباً أو خطأ من خلال المعيار البراجماتى نفسه فالإله رجل دين سياسى لكن من منظور كهنوتى(١).

وهذا القول ربما أدى إلى التأكيد على أن جيمس نفسه كان ممن يعتقدون فكرة التناسخ الروحى(٢)، ويؤمنون بضرورة وجودها على أرض الواقع.

بناء على ما سلف يمكن القول بأن صفة العلم التى صدرها البراجماتية على إلههم لا تستقيم مع ما جاء من عند الله؛ لأن الله تعالى هو العليم وذلك من أسماءه وصفاته العظيمة جل شأنه، أضف إلى ما سبق أن قولهم بهذه الصفة ونسبتها إلى الله إنما اقتبسوا مادتها الأولى مما ذكر فى العهد القديم من أن آدم اختفى عن عين الرب وبات الرب يسأل عنه فصار العلم بالنسبة لهم هو الذى دون فى العهد القديم الذى كتبته أيدى محرفيه.

[سفر خلق آدم الإصحاح الرابع عندما اختفى آدم من الرب .. التيه].

ولا يخفى أن هذا الوصف يقع فيه العديد من أوجه المغالطة باعتبار أن البراجماتية ما هدفوا للحديث عن إله منزه إنما انصب حدثيهم عن إله متجسد

(١) راجع وليم جيمس البراجماتية ص٢١٩.

(٢) التناسخ نوعان: أدهما استفادة جسم من جسم آخر يتعلق بالمأكل والمشرب وغيرها، ويسمى التناسخ الجسدى وهذا مما لا ترفضه نصوص الدين.
ثانيهما: التناسخ الروحى ويراد به انتقال روح كائن ما إلى جسد آخر بناء على طاعته أو معاصيه وهو استنساخ مهنى عنه شرعاً لا يردده سوى التناسخين الذين ينكرون البعث كما لا يقرون باليوم الآخر وقد تنبه إليهم أهل العلم، راجع شرح المواقف للجرجانى أثناء الحديث عن منكرى البعث، شرح المقاصد للتفتازانى ٨٨/٥، تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة، وراجع للشهرستانى الملل والنحل ١١٢/٢، ١١٣، تحقيق عبد العزيز الوكيل.

ظهرت بعض ملامحه فى كل من العهد القديم والتلمود بجانب مجامع السلحدرين [١].

وهذه المصادر اعتمدت على توصيف الإله بما هو قائم فى عقول مؤلفيها ولما كان البراجماتية قد اطلعوا على تلك الآراء فقد أخذوا منها حتى وإن لم ينسبوا إليها لأن علاقة التأثير والتأثير كشافة.

الصفة الثانية: التعالى:

يعتقد البراجماتيون أن الإله يجب أن يكون كريماً متعالى فلا يتصرف بما لا يليق وإذا حدثت عمليات قد تكون غير لائقة فيجب تأويلها بما يحقق ذات الفائدة [٢]، هذا الإله المتعالى يفترض أنه لا يريد إلا الخير على أساس أنه لا يقع منه اضطهاد للغير أو رغبة فى الانتقام وبالتالى فالتعالى صفة يمكن أن تلحق بالإنسان فيكون هو الإله ويكون فى ذات الوقت قائماً مقامه [٣].

كما يذهب البراجماتيون إلى أن التعالى الذى يراد وصف الإله به يخرج ذات الإله رغبة الحرب والتدمير حتى إن الإله يمكن وصفه بأنه مهذب السلوكيات حريص على التذكية بعيد عن المبكيات من الفسافس وغيرها، وهذا الشعور الموجود فينا يجب أن يكون موجوداً فى الإله [٤].

---

(١) هو المجلس الدينى اليهودى الأعلى ويتكون من سبعين عضوا من الحاخامات اللذين يختارهم الحاخام الأكبر ويتولى الملك تعيينهم وهم يملون مسلكه تغير العديد من القدرات وتفسير الكثير من النصوص وقرارات مجمع السلحدريين أساسية ونافذة. راجع: د/ شوقى عبد اللطيف المناوى، مصادر التراث اليهودى ص١١٧ – ط أولى ١٩٧١م، وراجع: د/ محمد عبد الله عنان، المجامع اليهودية ص١٨١، ١٨٢، وراجع: لرجاء جارودى، الأساطير اليهودية ص١١٣، ١١٤.

(٢) راجع لأدور شيفر، الدين والقيم والمذهب البراجماتى، ص١٠٢، وراجع لوليم جيمس، البراجماتية ص١١٥، وراجع المحاضرة الثانية له فى البراجماتية تحت عنوان: البراجماتية والدين.

(٣) راجع: لوليم شيراتس، البراجماتية والمنظور العقلى، ص١٥٤، ترجمة أمل المراكبى ترجمة ١٩٨١م.

(٤) راجع للأنطوان فيشر البراجماتية والانتقال السلمى ص٧٤، ترجمة هناء صبرى، مراجعة خالد العوضى.

إن التعالى فى حد ذاته نوعاً من الأخلاق المذمومة فلماذا لجأ البراجماتيون إلى وصف إلههم به ألا يدل ذلك على أنهم يفتقدون الحس المعرفى كما يفتقدون الوقوف على القيم الأخلاقية الإيجابية فى صورتها التى تحقق النفع للإنسانية [١].

كما دلت الدراسات الاجتماعية على أن المتعالى مريض لا يقدم نفعا للمجتمع بل على العكس من ذلك دوره الإيجابى متدنى وبالتالى يحتاج إلى نوعا من المعالجة بغية الوصول إلى النتائج الصحيحة [٢].

إذا كان البراجماتيون يرفضون وصف أحدهم بما هو مشين كالتعالى وغيره ألا يدل ذلك على أنهم فقدوا ابسط القواعد المعرفية وأنهم فضحوا أنفسهم بمشكلاتهم النفسية التى حاولوا انتسابها إلى رب البرية، لقد دلت الدراسات العلمية فى علم النفس الإكلينيكى أن من يصفون أنفسهم بصفات متدنية تارة والمتعالية أخرى يصابون بأمراض الفصام المختلفة [٣].

من السابق لأوانه القول بأن البراجماتية كانوا يفكرون بطريقة رءوها تتفق مع توجهاتهم النفسية لكنها فى الحقيقة دلت على آفات عقلية، والمعروف أن الجنون من آفات العقل، فالمجنون الذى يكون علاجه بالمستشفى هو الذى يخشى

(١) دلت الدراسات العلمية على أن الذى يمارس الكبر ويخرج بالتعالى يكون إنسان غير سوى ومهما طبقت الاختبارات عليه فإن النتيجة لا تتغير، راجع للدكتور/ فؤاد أبو حطب: القدرات العقلية ص٥٥٥، أثناء الحديث عن علاقة الأمراض والنشاط العقلى، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٦م.

(٢) راجع د/ نجية الخضرى، علم النفس والأخصائى الاحيائى، ص٣١٤، أثناء الحديث عن القدرات المتعددة – ط أولى ١٩٧٢م.

(٣) الفصام هو: محتوى خلطى وانهيار البنيان العقلانى بجانب انفصال الاتصال بين الأشخاص الجنسية المثلية وقتل الأم وما يتصل بالحياة، والموت والله والدين والفضيلة الرذيلة ومن أنواعه فصام البرانوية والانفصام البسيط، والفصام المبتدئ والفصام غير المصنف، راجع د/ لويس كامل، مليكة علم النفس الإكلنيكى ج١، التخصيص والتباين فى الطريقة الإكلينيكية ص٤٧٥، ٤٧٧ – ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥م.

على الناس من سوء تصرفه، [أما المجنون الذى يقتصر أمره على نفسه فعذبها وأرهقها أو نكل بها فإنه يحتاج إلى العلاج لا محالة] [١].

لست أزعم أن هؤلاء عباقرة، كما لا أدعى أنهم مجانين لأن العبقرى إذا حل فى وسط اجتماعى صار رهيناً بنظرة المجتمع إليه وبالتالى يعطف عليه المجتمع ويتمسك به ويصونه ويحفظه لأن العباقرة يتمسك بهم الآخرون أما المجنون فإنه يتصور حياة مليئة بالأوهام والظنون ويعتقد أنها الأصلح لحياة الناس مع أنه فى الأصل يقودهم إلى الهلاك، ولو انصرف الناس إليه ونفذوا ما يقنعهم به أو يطالب فإن النتيجة ستكون مأساوية بكل المقاييس وهذا ما وقع فيه الذين صاغوا الفكر البراجماتى، وحاولوا جعل الإله جل علاه موضعاً للتجربة عليه واعتبروا صفاته العظمة عى المحك التجريبى.

صفة العدل الاجتماعى:

يتصور البراجماتيون أن الإله يجب أن يكون عادلاً فلا يترك ظالماً حراً والمظلوم يتضرر من ظالمة حيث يقولون يجب أن يكون الإله قاسياً فتنزل ضرباته على المخالفين، عن طريق العقوبات القصاصية[٢].

أضف إلى ما سبق تأكيد البراجماتية على أن هذا الإله يجب أن يلقى فى روع الناس الأمن وأن يؤكد لهم وقوع ذلك فى طاعته والخوف من مخالفته وعصيانه وبالتالى يتم ضبط القيم على هذا الجانب [٣].

(١) الدكتور/ سمير عبده، العلاقة المتبادلة بين العبقرية والجنون ص٢٠ – ط أولى ١٤٠٣هـ، دار الآفاق الجديدة.

(٢) المراد بها ما يتعلق بالصور الانتقامية حيث تبرر الآثار التدميرية فى المحيط نفسه وكلما كانت العقوبات القصاصية قاضية فإن هذا الإله يكون عادلاً. الألوهية أفكار يتبناها العهد القديم فى كثير من إصحاحاته، راجع للباحثة نجلاء مصطفى بدوى، الدوافع فى العهد القديم وموقف الإسلام منها ص١٣٨، ١٣٩، رسالة ماجستير فى معهد الدراسات والبحوث الآسيوية جامعة الزقازيق سنة ٢٠٠٢م.

(٣) راجع لوليم جيمس: البراجماتية ص٣١٨، ٣١٩، سافير يورانس، الدين والفلسفة ص١٩٠، ١٩٥.

إن البراجماتية يحذفون فكرة الوساطة التى يقول بها رجال اللاهوت بين الله وأفعاله ولذلك حرص البراجماتية على أن يكونوا وحدهم هم الذين لهم وجود فى ذات الميدان(١).

بل إنهم أرادوا تصفية الحسابات مع رجال اللاهوت المسيحى، ويبدوا أنهم تأثروا بنظرية تومس هوبس الذى يصف فيها الإله بأنه متسلط، وأن على الجميع طاعة، هذا الإله المتسلط بغض النظر عن المترتب عليه، وكان هوبس من أنصار الدكتاتورية المطلقة الذى قال الإنسان ملكا متسلط إذا كان ملكا والإله يحتاج إلى القيادة إذا كان إنساناً متواضعاً (٢).

فالإله ملكاً متسلط، والملك إله متسلط، وهذا الذى دعا البراجماتية إلى التخلص من الدين بالجملة، وبخاصة أن كل ما أثر عن توماس هوبز لهذا الشأن كان يصب فى إناء واحد جعل الناس يتخلون تماماً عن قضية الدين كما يتخلون عن القانون والأخلاق والقيم (٣).

والناظر إلى هذه الصفة بما يليق بالذات المقدسة يجد أن العدل من أسماء الله الحسنى، وأنه فى المعنى الذى يصدر منه فعل العبد المضاد للجور والظلم، ويقول الإمام الغزالى: [من لم يعرف العدل من لم يعرف عدله من لم يعرف فعله، فمن أراد أن يفهم هذا الوصف ينبغى أن يحط علما بأفعال الله تعالى من أعلى ملكوت السموات إلى منتهى السر](٤).

فالعدل اسم جميل ومعنى عظيم متى وقف الإنسان على مدلوله استبان له ما فى مكنونه طبقاً لما يأتى به الفيض من لدن حكيم عليم، وليس أدل على

(١) راجع: لإدور شيفر، الدين والقيم والمذهب البراجماتى ص١٠٣.
(٢) راجع للدكتور/ صابر عبد العظيم حسن: الفلسفة الحديثة والمعاصرة ص١٢١ – ط أولى ١٩٨٥م.
(٣) راجع للدكتور/ محمد حسين الغزالى، خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة ١٢٤، ١٢٥ – ط ١١ سنة ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
(٤) الإمام أبو حامد الغزالى: المقصد الأسمى شرح أسماء الله الحسنى ص٨٥ – طبعة الجندى ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م.

ذلك من قول الله تعالى: ﴿ **ولا يظلم ربك أحداً**﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ (١).

وما دام الله سبحانه وتعالى قد وصف نفسه بصفات فيجب على الإنسان الواعى التمسك بها على أساس أنه لا يعرف الله إلا الله ومن ادعى غير ذلك فقد خسر خسران مبين.(٢)

وبناء عليه لا يجوز القول فى صفات الله ولا فى أسمائه بغير دليل شرعى؛ لأن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا مجال للرأى فيها، من حيث الإطلاق على الله تعالى (٣).

ولا شك أن البراجماتية يفتقدون القواعد الأساسية للبحث الموضوعى كما يفتقدون القواعد المنهجية التى يجب أن يلتزم بها الباحث المعرفى وإذا افتقدوا هذين الأمرين فإن قولهم فيما يتعلق بصفات الله لا يلتفت إليه؛ لأنه من أوهامهم جاء ومن طبيعتهم المتدنية خرج.

ومن تقديرى أن فكرتهم عن الإله تخالف العقيدة تماماً فالله عندهم معه التشبيه والتجسيد وهذا يخالف معيار الإيمان؛ لأن العقيدة الإسلامية الصحيحة هى ما جاءت بها النصوص الشرعية وانعقد عليها قلب المرء وتمسك بها عقله واستراحت بين أحضانها جوارحه، الفائدة أن الإيمان هو: [ما وقر فى القلب وصدقه العمل](٤).

---

(١) سورة الأنبياء الآية رقم ٤٧.

(٢) لم أتناول الحديث عن الصفات بالتفصيل هنا ، نظراً للحديث عنها فى رسالة الدكتوراه وعنوانها : « نقد المتكلمين بين الإمامين ابن رشد وابن تيمية » جامعة الأزهر ١٩٩٦.

(٣) راجع للعلامة ابن القيم: أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ص٣، ٤، مع ملاحظة أن التوقيف من حيث العدد لا يترتب عليه توقيف من ناحية المعنى؛ لأن اللفظ حمال أوجه. المكتبة التوفيقية، تحقيق عماد زكى البارودى.

(٤) ما وقر فى القلب قد يكون مصدره الفطرة لقوله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الروم: الآية ٣٠] وقوله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [العنكبوت: الآية ٦١، وسورة لقمان الآية رقم ٢٥، وسورة الزمر الآية رقم ٣٥، وسورة الزخرف الآية رقم ٩]. كما أن الله تعالى هو

أضف إلى ما سبق أنهم جعلوا صفات الله تعالى محكوماً عليها لأنهم هم الذين منحوه إياه كما جعلوا مقياس الصفة الإلهية هو ما يتعلق بالمصلحة العملية النفعية للفرد فانصرفوا بها العبث عن الفطرة السليمة كما انصرفوا عن الحق فحكموا على أنفسهم بالتخلى عن عقيدة التوحيد.

ومن المؤكد أنه لما كانت أسماء الله توقيفية فقد جاء أساس دعوة الرسول ﷺ عليها يقول ابن القيم إن أساس دعوة الرسول ﷺ معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ويتم ذلك من خلال تعريفهم الطريق الموصلة إليها وهى شرعيته المتضمنة أمره ونهيه وتعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليها من النعيم الذى لا ينفذ وقرة العين التى لا تنقطع] (١).

ولا يخفى أنهم شغلوا الناس بإلحادهم حتى لا يلتفت أحد إليهم وهذا هما لا يحتاج نوعاً من الإعلان؛ لأن كل ما ذكروه هو ذات العبث صحيحاً أن بيرس أعلن عن إلحاده الدينى وجاء جيمس بنزعته الخفية، وحاول شيلر الاتجاه ناحية الإلحاد، وكان بورد فى غاية الصراحة أنه يدين بالدين المعرفى لا للدين الإلهى الكهنوتى(٢).

ومهما قيل من تبريرات حول الأفكار التى عرضها هؤلاء فإنها لا تخرج عن ما يلى:

الخالق وهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولد [يقول الإمام الرازى فى قوله تعالى:﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [العنكبوت:الآية ٦١] ذكر الله تعالى أمرين أحدهما: خلق السموات والأرض والآخر: تسخير الشمس والقمر؛ لأن الإيجاد قد يكون للفرد قد يكون للصفات فخلق السموات والأرض إشارة إلى إيجاد الفرد وتسخير الشمس والقمر إشارة إلى إيجاد الصفات وهى الحركة وغيرها كأنه ذكر من القبيلين مثال] الإمام الفخر الرازى، مفاتيح الغيب المجلد الثانى عشر ٤٢٦/٤٤ – ط الغد العربى بالقاهرة – ط الأولى ١٩٠٠م.

(١) إمام شمس الدين ابن القيم: أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ص١٧.

(٢) راجع: جورج بيترا الفلسفة والأخلاق البراجماتية ص١٢١.

(١) أنها أفكار لا تقوم على قواعد معرفية صحيحة ولا منهجية يعترف بها ولا تربوية يمكن الاستفادة منها وقد نبه بلانت على هذا حين قال: إن الفكر البراجماتى لم يقدم جديد فى شىء مما تعرض له بل عمد إلى الهدم والتدمير[١].

(٢) إن النزعة الإلحادية ظهرت فى الفكر البراجماتى دون أن ترتكز إلى قاعدة معرفية، وإنما انصبت كلها على جانب جدلى أدى بهم إلى إنكار الحقائق والرغبة فى التخلص من القيم الثابتة فهدموا كل ما وجدوه وحطموا جميع ما زعموا أنهم أقاموه.

(٣) إن الباحث الفلسفى العلمى يمكنه ممارسة مهامه فى حرية تامة ومن هذا الباب دخل البراجماتيون إلى الدين وهو قول غير مقبول؛ لأن الدين مصدره الله ونصوصه ما جاء من عند الله، وموضوعاته مما يتعلق بذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وبالتالى فإنكارهم لتلك الحقائق أدى بهم إلى إنكار أصل الدين وتلك مسألة غاية فى القسوة[٢].

(٤) إن الأفكار التى نادوا بها تؤسس لمذهب سوداوى يربط الإنسان بالعديد من الأمراض الخداعة التى يعتقد إمكانية توظيفها على النواحى العملية من خلال زعمهم ضرورة التمسك بالواقع كمعيار للحقيقة، وهذا مما أدى بهم إلى نتائج تدميرية.

(٥) إن الأفكار التى انتهى إليها البراجماتيون فيما يتعلق بالله جل علاه ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً يجب أن تعامل على أنها نتاج عقلية تحتاج إلى الاستصلاح ونفسية بحاجة إلى العلاج ومعرفية تحمل الخطأ من كل الجوانب.

---

(١) راجع لجورج بلانت، البراجماتية الفكر الأنوى ص١٣٣، ١٣٤، ترجمة: هناء المراكبى ١٩٧٥م.

(٢) راجع: لجورج بيتر، الفلسفة والأخلاق فى البراجماتية ص١٢١، وما بعدها، وراجع: لجورج بلانت، البراجماتية والفكر الأنوى ص١٣٧.

(٦) إنهم طرحوا قضية الإيمان بالغيب وأنكروا بوجوده فوقعوا فى العديد من أوجه القصور والإلحاد ومن ثم كانت البراجماتية خطراً على الإنسانية.

أهم المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثا: المراجع:

١- **إبـراهيم:** الـدكتور إبـراهيم مصـطفى، نقـد المـذاهب المعاصـرة جـ١ ١٩٩٩م، طبعة دار الوفاء.

٢- **ابـن سـينا:** الشـيخ الـرئيس أبـو علـى الإشـارات والتنبيهـات القسـم الثالـث فـى الوجود وعلله، تحقيق د/ سليمان دنيا طبعة دار المعارف.

٣- **ابن القيم:** الإمام شمس الدين أبو عبد الله بن أبى بكر الزرعى، أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، حقيق عماد البارودى، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٤- **الأخضرى:** العلامة الشيخ عبد الرحمن: متن السلم فى علم المنطق، طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة.

٥-**الإيجى:** الإمام عضد الدين الإيجى، المواقف فى علم الكلام. عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

٦ - **بخيـت:** د/ هـانى محمد رشـاد: البراجماتيـة الأمريكيـة المعاصـرة أصـولها اليونانية،المكتبة المصرية ٢٠٠٦م.

٧- **بلانت - جورج:** البراجماتية والفكر الأنوى، ترجمة عادل فوزى سنة ١٩٩٩م.

٨- **التفتازانى:** العلامة مسعود بن عمر ابن عبد الله الشهير بسعد الدين.

٩- **الجرجانى: العلامة،** السيد الشريف على بن محمد أبو الحسن.

أ- التعريفات طبعة البابى الحلبى ١٣٥٧هـ/١٩٣٥م.

ب- حاشـية الجرانـى علـى مطـالع الأنظـار للأصـفهانى علـى طوالـع الأنوار، للبيضاوى، طبعة دار سعادة ١٣٠٥هـ

١٠- **جـيمس: وليـام** البراجماتيـة: ترجمـة د/ محمد علـى العريـان طبعـة مؤسسـة

فرانكلين، سلسلة كتب لابد أن تقرأ، طبعة ١٩٦٥م.

١١- **حجازى:** د/ عوض الله، مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام، طبعة دار الطباعة المحمدية القاهرة ١٩٩٣م.

١٢- **حسن.** صابر عبد العظيم، الفلسفة الحديثة، والمعاصرة ط أولى ١٩٨٥م.

١٣- **حمادة:** حسين عمر، شهود يهوه بين برج المراقبة الأمريكى وتلمود اليهود، دار قتيبة سنة ٢٠٠٨م.

١٤- **الخضيرى:** د/ نجيبة، علم النفس الأخصائى الاحيائى طبعة أولى سنة ١٩٧٢م.

١٥- **ديناً:** د/ سليمان، التفكير الفلسفى الإسلامى طبعة أولى مكتبة الخانجى بمصر.

١٦- **ديوان رانت/ ول** قصة الحضارة، ترجمة د/ زكى نجيب محمود، طبعة الإدارة الثقافية سنة ٢٠٠٣م.

١٧- **الرازى: محمد بن عمر بن الحسين الملقب بفخر الدين** مفاتيح الغيب، دار الغد العربى.

١٨- **ربروث:** الساحة، تراث الإسلام. ترجمة د/ حسين مؤنس، طبعة سلسلة عالم المعارف.

١٩-**زومر: اسكندر**، الحركة البراجماتية التصورات العلمية ط دار الصفاء ١٩٨٧م.

٢٠- **زيدان: د/ محمود**، وليم جيمس، نوابغ الفكر العربى، ط دار المعارف بمصر.

٢١- **الشاطبى** العلامة الشيخ إبراهيم، الموافقات فى أصول الشريعة، تحقيق د/ محمد عبد الله دراز، طبعة مكتبة الأسرة، القاهرة.

٢٢- **الشهرستانى:** أبو الفتح تاج الدين عبد الكريم بن أبى بكر أحمد، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز الوكيل.

٢٣- **شيفر: إدوارد**

أ- الدين والفلسفة والمذهب البراجماتى، ترجمة هناء رشدى سنة ١٩٨٧م.

ب-البراجماتية من منظور نفعى، ترجمة السيد حسن طلبة.

٢٤- **صابر** د/ على عبد الكريم، البراجماتية من وجه نظر وجودى.

٢٥- **عبد الخالق:** د/ محمد رجب، الأديان دراسات فى الدين الإلهى والوضعى، ط دار الجيل سنة ١٩٨١م.

٢٦- **عبد الغنى/ عاطف**، شهود يهوه مملكة إسرائيل على الأرض، ط دار الديوان سنة ٢٠٠١م.

٢٧- **عبده: د/ سمير** العلاقة المتبادلة بين العبقرية والجنون، دار الآفاق الجديدة

٢٨- **عنايت: راضى** جماعات وعقائد عجيبة، ط أولى، دار الشروق سنة ١٩٩٨م.

٢٩- **عوضى: د/ رمسيس** محاكم التفتيش، ط دار الهلال عام ٢٠٠١م.

٣٠- **عويضة: الشيخ كامل محمد محمد**، وليم جيمس رائد المذهب البراجماتى، دار الكتب العلمية.

٣١- **الغزالى: الشيخ أبو حامد** المقصد الأسمى فى شرح أسماء الله الحسنى، طبعة الجندى ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

٣٢- **الغزالى: د/ محمد حسين موسى**

الجانبية، عقائدها وفلسفتها ط أولى سنة ١٩٠٧م.

تأملات غزالية فى البراجماتية والوضعية، ط أولى سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٣٣- **فوكرجورج ساندر** المذاهب الفلسفية فى أمريكا الحديثة، ترجمة حنان فوزى.

٣٤- **فوكر: لوسيركمبل** الحركات الفلسفية المعاصرة، ترجمة فايز رزق ط أولى سنة ١٩٨٧م.

٣٥- **فيدر: أندرية**، الفلسفة والعلم ترجمة هناء رضوان سنة ,١٩٨٧
٣٦- **فيدر: جورج** البراجماتية النشأة والتطوير ترجمة عادل رمزى ط أولى سنة ١٩٨٩م.
٣٧- **فيشر: جيمس بارد** الفلسفة فى القرن العشرين، ترجمة عبد العظيم حسان، ط أولى ١٩٧١م.
٣٨- **فيشر: هولمز** الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة على زكريا، مراجعة فاروق شوقى ١٩٩٧م.
٣٩- **كاز: بيتر** تاريخ الفلسفة فى أمريكا خلال ٢٠٠ عام، ترجمة حسنى نصار مراجعة د/ مراد وهبه.
٤٠- **كرم: د/ يوسف** تاريخ الفلسفة الحديثة، الطبعة السادسة، ط دار المعارف بالقاهرة.
٤١- **الكندى: يوسف أبو يعقوب بن إسحاق** رسائله الفلسفية، تحقيق أبو ريدة، الطبعة الثانية ١٩٧٨م.
٤٢- **محمود: حربى عباس** ملامح الفكر الفلسفى عند اليونان ط دار المعرفة الجامعية ١٩٩٧م.
٤٣- **محمود زكى نجيب**: حياة الفكر فى العالم الجديد مكتبة الأنجلو المصرية بدون تاريخ.
٤٤- **المنياوى: د/ شوقى عبد اللطيف**، مصادر التراث اليهودى طبعة أولى ١٩٧١م.
٤٥- **ناصف: الشيخ السيد محمد على** من أنوار السنة، ط أولى ١٣٩٧هـ.
٤٦- **نصر الله: د/ فوزى عبد المقصود** البراجماتية، ط أولى ١٩٧٥م.
٤٧- **حرفى: بنطوان** البراجماتية من منظور إنسانى ترجمة ناشد فوزى، ط ١٩٨٧م.
٤٨- **هولمن: جورج**، الفلسفة والعمل من منظور براجماتى، ترجمة ظافر خيرى ١٩٨٧م.
٤٩- **هومر – إدوارد** الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة حنا

فوزى، مراجعة صابر خيرى ١٩٨٧م.

٥٠- **يورنس: شافير** الدين والفلسفة، ترجمة ناهد صبرى ١٩٨٧م.

٥١- **يونت: إدوارد** التجربة الدينية فى البراجماتية، ترجمة ناصر زكى، ط أولى ١٩٨٤م.

❁❁❁❁